المؤلف
رضا سعد



فيصل بن الحسين

اول ملوك العراق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة السلسلة:

في أعقاب تفكك الإمبراطورية العثمانية وما تلاها من إعادة ترسيم الحدود وتقاسم النفوذ في منطقة الشرق الأوسط، برزت مجموعة من الشخصيات التي سعت إلى لعب دور في تحديد مستقبل المنطقة وشعوبها. من بين هؤلاء، يتبوأ فيصل الأول بن الحسين بن علي الهاشمي مكانة خاصة، نظرًا لمشاركته الفاعلة في مراحل مفصلية من تاريخ المنطقة، بدءًا من قيادته العسكرية في الثورة العربية الكبرى وصولًا إلى تأسيس وتوحيد المملكة العراقية.

نشأ فيصل في كنف أسرة هاشمية ذات تاريخ عريق ومكانة مرموقة في العالم الإسلامي. انخرط مبكرًا في خضم التحولات السياسية التي شهدتها المنطقة في أوائل القرن العشرين، وبرز كأحد القادة الرئيسيين في الحركة العربية الكبرى التي قادها والده الشريف حسين بن علي، أمير مكة. كانت مشاركته في هذه الحركة نابعة من إيمان عميق بحق العرب في الاستقلال وتقرير المصير، والتخلص من الحكم العثماني الذي دام

قرونًا. خلال الثورة العربية الكبرى، أظهر فيصل قدرات قيادية وعسكرية لافتة، حيث قاد الجيش الشمالي ببراعة وحقق انتصارات مهمة في مواجهة القوات العثمانية. تميزت علاقته بالشخصيات الغربية الداعمة

للثورة، وعلى رأسهم لورنس العرب، بالتعقيد والتأرجح بين التحالف والتوجس. ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، دخل فيصل دمشق على رأس القوات العربية، وشهدت المدينة لفترة وجيزة تأسيس إدارة عربية مستقلة برئاسته.

لكن هذه التجربة الوليدة سرعان ما واجهت تحديات جمة، أبرزها تضارب المصالح بين القوى الكبرى المنتصرة في الحرب. لم تستطع الإدارة العربية في دمشق الصمود في وجه الضغوط الفرنسية، وانتهت بتدخل عسكري فرنسي ومعركة ميسلون. شكلت هذه الأحداث نقطة تحول حاسمة في مسيرة فيصل، حيث اضطر إلى مغادرة سوريا ليجد

لنفسه ولطموحاته مسارًا جديدًا.

في عام ١٩٢١ ، وفي ظل ظروف سياسية معقدة وتدخل بريطاني فاعل، تم اختيار فيصل الأول ملكًا على العراق. كانت مهمته في تأسيس وتوحيد هذا الكيان السياسي الجديد محفوفة بالتحديات. فقد ورث دولة ذات تركيبة سكانية متنوعة، وحدودًا غير مستقرة، ونظامًا إداريًا واقتصاديًا هشًا، بالإضافة إلى نفوذ بريطاني كبير كان يحد من سلطاته.

يسعى هذا الكتاب إلى تقديم دراسة معمقة وشاملة لحياة الأمير والملك فيصل الأول ودوره المحوري في تشكيل المشرق العربي الحديث.

سيتتبع مسيرته منذ نشأته في الحجاز مرورًا بمشاركته في الثورة العربية وتجربته في حكم سوريا وصولًا إلى توليه عرش العراق وجهوده في بناء الدولة وتوحيدها. كما يتناول الكتاب سياسته الداخلية والخارجية، وعلاقته بالقوى المحلية والإقليمية والدولية، والتحديات التي واجهها،

والإرث الذي تركه للأجيال اللاحقة.

بالاعتماد على تنوع المصادر التاريخية، من مذكرات ووثائق وسجلات رسمية إلى دراسات أكاديمية وتحليلات معاصرة، سيحاول هذا الكتاب تقديم صورة متوازنة وموضوعية لشخصية فيصل الأول وإسهاماته، مع الأخذ في الاعتبار السياق التاريخي المعقد الذي عاش وعمل فيه. إن فهم دور هذه الشخصية القيادية يمثل مدخلًا أساسيًا لفهم تطورات المنطقة خلال فترة حاسمة من تاريخها.

هذه السلسلة تسعى لاستكشاف ملامح من تاريخ العراق الحديث من خلال نافذة فريدة ، حياة وإرث أبرز شخصياته. في كل كتاب من هذه المجموعة، نتعمق في رحلة فرد ترك بصمة واضحة على مسار هذا الوطن، مسلطين الضوء على إسهاماتهم، تحدياتهم، والتأثير الدائم الذي أحدثوه في مختلف جوانب الحياة العراقية. من قادة سعوا لبناء دولة، إلى مفكرين أثروا وجدان الأمة، تأخذنا هذه السلسلة في رحلة عبر محطات

هامة في تاريخ العراق الحديث، نتعرف فيها على صناع تلك اللحظات وتأثيرهم الذي يمتد حتى يومنا هذا. هذه الصفحات هي تكريم لذكرى هؤلاء الرواد وإضاءة على فصول حيوية من تاريخنا .

المؤلف

شكر وعرفان

أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان للأستاذ رعد الشويلي على دعمه الكريم، ومساعدته القيّمة في توفير المصادر اللازمة لهذا البحث، من خلال مكتبته الزاخرة بالمراجع التاريخية المهمة ، سائلاً المولى عز وجل أن يوفقه ويسدد خطاه.

رسالة من الكاتب إلى القارئ

إلى القارئ العزيز،

لم أكتب بقلم أستاذ أو بلغة أكاديمي متأنق، بل كتبت كما يكتب القلب حين يغمره الصدق. لم أسعَ إلى تجميل الحروف ولا إلى نحت الكلمات كما يفعل أرباب البلاغة، إنما أردت أن أنقل الحقيقة كما شعرت بها، وكما نطقت بها ضمائر البسطاء الذين أحببتهم . كتبت لأن التاريخ ليس ملكاً للمكتبات الفخمة ، بل هو ملك لكل من حلم بوطن كريم وأمة حرة. وإن كنت قد أخطأت، فالعذر عند الكرام مقبول، وإن أصبت، فمن الله الفضل والمنّة.

الملك فيصل ... أول ملوك العراق



الشريف حسين بن علي والد الملك فيصل الاول



الفصل الأول

نسبه ، نشأته ، عائلته

﴿ نسب الملك فيصل ﴾

ترجع الأصول التاريخية لعائلة الملك فيصل الأول بن الشريف حسين إلى نشرة نسب الاشراف ، وهم بذلك ينتهي نسبهم إلى آل البيت الكرام ، وتتمثل الشجرة بالشكل التالي : فيصل بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن محسن بن محمد أبو نمي الثاني بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبو نمي الأول بن الحسن بن علي الأكبر بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضي بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي . [١]

لذا يُعتبر الأمير فيصل بن الحسين بن علي من فرع الأشراف العونية العبادلة [٢] ، وذوو عون هم عقب الشريف عون بن محسن بن حسين بن

عبدالله بن حسين بن عبدالله جد الأشراف العبادلة، وأعقب عون ابنين هما الشريف فواز، والذي ينحدر من ناصر، والشريف عبدالمعين، والذي ينحدر منه محمد وهزاع . (٣)

تفرعت من ذوي عون ثلاثة فروع: فرع محمد، وهم أهل الإمارة، وفرع هزاع، وفرع ناصر. فأما محمد وهزاع فهما أبناء عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله، وأما ناصر فهو ابن فواز بن عون، وهذا الفرع فيه إمارة الطائف عندما تكون الشرافة في ذوي عون، والشرافة في عون هي لبني محمد بن عبد المعين . (٤)

﴿ تاريخ الاشراف في شرافة مكة ﴾

عندما رأى العثمانيون في ضرورة تطبيق سياسة التوازن الديني والديموغرافي كداعم مؤثر لدولتهم ، أخذوا يفكرون في نزع الخلافة الإسلامية لصالحهم ، وهكذا بدأت الدولة العثمانية بالتوسع بأتجاه الشرق

بعد أن أيقن السلطان سليم الأول [٥] أن التوسع تجاه اوربا اخذ يأخذ شكلا دفاعيا اكثر منه هجوميا ، ولمواجهة المد الصفوي الشيعي ، لذا جاء هذا الخيار الاستراتيجي سريعا ومؤقتا لاستئناف الحملات في الغرب لاحقاً. [٦] كان لذلك عدة دوافع وأسباب تتمثل بدوافع دينية ، والسيطرة على المقدسات الاسلامية والتي تعتبر مصدرا اقتصاديا هاما ، فضلاً عن الدوافع الاستراتيجية والسياسية في السيطرة على دولة تربط الشرق بالغرب ، ناهيك عن الدوافع الاقتصادية المتمثلة بالسيطرة على الطرق البحرية ، وإيجاد عوائد ومصادر اقتصادية ترفد الدولة، بالإضافة إلى الخطر المتمثل بالتوسع البرتغالي باتجاه الجزيرة العربية والخطر الإسباني باتجاه قارة أفريقيا ، كل هذه الدوافع كان يشعلها الطموح والقوة التي يتمتع بها السلطان سليم الأول، لتوجه جهد الدولة باتجاه الشرق .

وقد تدهورت العلاقات بين الدولة العثمانية والمماليك أثر الاتهامات

المتبادلة بينهما، فخرج السلطان قانصوه الغوري سلطان المماليك مع جيشه في احتفالية كبيرة في صيف عام ١٥١٦م باتجاه الشام، ودارت معركة مرج دابق [٧] بين المماليك والعثمانيين، وانتصر العثمانيون فيها نتيجة التفوق العسكري بسبب امتلاك العثمانيين المدفعية والمشاة والعسكر . [٨]

وبعد ما ان سيطرت الإمبراطورية العثمانية على الشرق الأوسط ومصر تنازل الخليفة العباسي محمد المتوكل المقيم بالقاهرة عن الخلافة للسلطان سليم العثماني الأول ، وتقول بعض المصادر ان المتوكل لم يتنازل بالخلافة لسليم لسبب واحد أنه لا يملك مقومات الخلافة وأهمها النسب القرشي، بالإضافة إلى عدم حاجة السلطان لهذا اللقب في الوقت الذي صار هو المتحكم في زمام أمور الدولة كلها، كما أن يوميات الكاتب التركي أحمد فريدون الذي عاصر السلطان سليم الأول في تلك الفترة وكان يكتب يومياته، ولم يُشِرْ إلى تنازل الخليفة عن لقبه، ولم يُلقَّب

السلطان باللقب الجديد. [٩]

كما استطاع العثمانيون هزيمة شاه فارس الصفوي عام ١٥١٤ م ، ثم استولوا على الموصل وكردستان عام ١٥١٥ م ، وفي العامين التاليين استولوا على سوريا ومصر، ومن هنا بدأت مرحلة الدولة العثمانية كدولة عظمى ذات سيادة على العالم الإسلامي في ثلاث قارات هي آسيا وأوروبا وأفريقيا.

لقد كان العثمانيون في كل فتوحاتهم وتحركاتهم من مرج دابق مرورًا بحماه وحلب وحمص ودمشق وصفد وطرابلس والقدس وغزة يُلاقون ترحيبًا كبيرًا من الأهالي الذين توسموا فيهم عودة المجد الإسلامي الغائب عن الخلافة الإسلامية، سيما بعد الضعف الذي آلت إليه، والتي لم يبق منها سوى السلطة الروحية، وفي هذا الوقت كانت مكة تحت ولاية الشريف الأمير بركات الثاني، الذي كان من بين أوائل من رحب بالسلطان العثماني سليم وأعلن ولاءه له وأرسل اليه اثناء وجوده بالقاهرة

ابنه محمد يحمل كتاب بيعته وطاعته له ، وأرسل معه مفاتيح الحرمين الشريفين، مكة والمدينة، كما بعث معه بعض الآثار الشريفة لتسليمها للسلطان سليم الأول، في المقابل عندما وصل مبعوث الشريف من مكة احتفل السلطان سليم الأول بهذا الشريف واكرمه ، وبهذا الاعتراف اكتسب السلطان العثماني سليم الأول لقب "خادم الحرمين الشريفين" . (١٠)

ثم انتقلت شرافة مكة إلى أحفاد ابن أبي نمي عقب حملة محمد علي باشا (١١) ، وامتد النفوذ المصري إلى الحجاز عام ١٨١٢م، وذلك بعد أن أثبت الشريف محمد بن عون (١٢) جدارته في إرساء الاستقرار بين القبائل. ويُعدّ الشريف محمد بن عبد المعين أول من تولى حكم الحجاز من آل عون، وكان ذلك في عام ١٨٢٧ م، ، وقد خلفه ابنه الشريف عبد الله باشا (١٣) ، ثم أخوه الشريف حسين الشهيد ، وبعده تولى الشريف عبدالمطلب بن غالب بن مساعد آل زيد الحسني ، ثم الشريف عون الرفيق ، وبعد

هؤلاء انتقلت شرافة إلى ابن أخيه الشريف علي باشا (وهو ابن الشريف عبد الله باشا الذي استقال خشية بطش الاتحاديين الجدد، فانتقل إلى القاهرة وأقام بها). وقد تم تعيين الشريف عبد الإله بن محمد بن عون خلفًا له، لكنه توفي بعد يومين فقط من تعيينه (، لتؤول الشرافة بعدها إلى الشريف الحسين بن علي والد الأمير فيصل، واستمرت في نسله حتى عام ١٩٢٤ م . (١٤)

﴿ مولد الملك فيصل الاول ﴾

في البدء ، تعود الجذور التاريخية لعائلة فيصل بن الحسين بن علي إلى شجرة نسب الاشراف ، اي يعود نسبهم الى آل البيت (عليهم السلام) ، وذلك وذلك بالشكل التالي الذي نبدأه بالأب الشريف الحسين بن علي: هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن محمد الثاني بن بركات بن محمد

بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبو نمي الأول بن الحسن بن علي الأكبر بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضي بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي [١٥]

وتبين لنا سلسلة نسب عائلة الأمير فيصل بن الحسين أن تلك العائلة تنحدر من سلالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وتحديدا من من جهة ابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام) زوج الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وابن عم الرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

ولد الملك فيصل الأول، مؤسس المملكة العراقية الحديثة لاحقًا، لأبوين ينتميان إلى عائلة واحدة بصفتهما أبناء عمومة. وتعود جذور هذه العائلة الشريفة - كما قلنا - إلى آل بيت النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) من جهة ابنته فاطمة الزهراء (عليها أفضل الصلاة والسلام)،

مما يكسبها مكانة دينية واجتماعية مرموقة. وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ميلاده بدقة؛ فبينما تذكر بعض المصادر أن

مسقط رأسه كان في مكة المكرمة في أرض الحجاز (المملكة العربية السعودية حاليًا) في عام ١٨٨٣م [١٦] ، تشير روايات أخرى إلى أنه ولد في العشرين من شهر أيار عام ١٨٨٥م . [١٧]

وبعد ثمانية أيام من ولادته، عهد به والده الشريف الحسين بن علي إلى إحدى دور قبيلة عتيبة التي كانت تقع خارج مدينة الطائف، وذلك لإرضاعه في البادية وفقًا لعادات وتقاليد الأشراف في تلك الفترة، لتكون نشأته الأولى في كنف هذه القبيلة . [١٨]

وعندما أتم الأمير فيصل مرحلة الرضاع، عاد إلى عائلته في مكة المكرمة. وعندما بلغ السادسة من عمره، قرر والده الشريف الحسين إرساله مرة أخرى إلى خارج مكة، وتحديدًا إلى قرية الرحاب [١٩] ، وهي القرية التي تعود إلى جده لأمه [٢٠] . وكان الهدف من إرساله إلى

هذه البيئة البدوية هو تنشئته على عادة أشراف العرب القديمة في تربية أبنائهم، حيث يتعلم حياة الصحراء وما تتضمنه من تقشف وصعوبة في المعيشة ليكتسب صلابة العود وقوة التحمل، بالإضافة إلى تعلم الفصاحة في اللغة العربية والشجاعة والإقدام في المعارك والفروسية ومهارات القتال بالسيف والبندقية [٢١] .

وتذكر الروايات حادثة طريفة تعكس شخصية الأمير فيصل القيادية وحماسه المبكر؛ ففي إحدى المرات وبينما كان يلعب مع أقرانه من الصبيان، انقسموا إلى فريقين: أحدهما يمثل الغزاة والآخر يمثل المدافعين عن العشيرة. وسرعان ما تحولت اللعبة إلى مناوشات حقيقية، حيث أغار أحد الفريقين على الآخر والتحم الصبيان في صراع حماسي. وخلال هذا اللعب، استطاع فيصل أن يستولي على كوفية وعصا أحد الصبية، مما أدى إلى مشاجرة حادة بينهما كادت أن تتحول من مجرد لهو الأطفال إلى عراك حقيقي. ولولا تدخل أحد الشيوخ القريبين من مكان اللعب الذي فصل بينهما بعد أن استمع إلى شكوى كل منهما ،

لربما تطور الأمر إلى ما هو أبعد. وقد وجه الشيخ كلمة حكيمة للأمير فيصل قائلًا: " اسمع يا فيصل أنت ولدنا وهذا خويك، إن أحسنت أحسن لك، وإن أسأت أساء لك " . (٢٢)

* * *

﴿ الشريف حسين بن علي ﴾

هو الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن الحسين بن محمد أبو نمي الثاني بن بركات بن محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبو نمي الأول بن الحسن بن علي الأكبر بن قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسين بن سليمان بن علي بن عبد الله بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبد الله الرضي بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. (٢٣)

عاش وترعرع بالاستانة في أحد شهور سنة ١٨٥٣ م. ولما بلغ سنتين من عمره قد أسندت إمارة مكة إلى جده الشريف محمد بن عون وزال ما كان يحمل أباه علي على الإقامة بالاستانة، فتقدم مكة مع ابنه الحسين (٢٤)

لما قَدِم الشريف حسين بن علي من الآستانة إلى مكة المكرمة ، كان قد دخل سن التعليم ، فألحقه والده إلى من يعلمه مبادئ القراءة والكتابة وقليلا من سور القرآن الكريم . وقد يعتبر هذه العلوم هو القدر الكافي لمن يريد من الأشراف ان يعلم ابنه . وحسب ما جاء في المصادر التأريخية كان الشريف حسين في مدة امارته يبغض الدراسة والعلم والتعلم ، وكان سبب تمحور هذه الفكرة في عقل الشريف حسين يعود الى سببين : أولهما، أنهم لم يذوقوا من العلم ما ينزع من نفوسهم عداوته. وكما هو معروف من جهل شيئًا عاداه. ثانيها: أن التوسع في العلم يحمل الرعية على التمرد على الأمراء الجاهلين الظالمين. وفوق هذا فلم تكن

الدولة العثمانية تعطي التعليم قسطًا لائقًا بمركزه الإسلامي العظيم، فلم يكن به إلا بعض المدارس التحضيرية أو الابتدائية: بمكة والمدينة وجدة والطائف. أما البادية فلم يفكر أحد يومًا ما في إخراج أهلها من الظلمات إلى النور. ولذا كانت دائمًا شرًا مستطيرًا على الحجازيين والدولة العثمانية والحجاج. حصل الحسين ما حصله من العلم القليل. ثم ذهب يسلك في الحياة سبيل أنداده من بقية أفراد الأسرة الهاشمية في ظل إمارة جده محمد إلى أن مات جده، فرحل أبوه إلى الآستانة وبقي بها حتى توفي سنة ١٢٨٧ هجرية، وقد أسندت إمارة مكة إلى عمه الشريف عبد الله بن محمد بن عون، فانضم الحسين إليه يعيش في كنفه، حتى ولي الإمارة الشريف عون الرفيق في ١٨٨٢ م ، فعمل على إبعاده من مكة لما كان يأتيه الحسين من التأليب عليه والكيد له في الخفاء. حتى تغلب الشريف عون عليه وألجأه إلى الرحيل عن مكة إلى الآستانة. (٢٥)

أقام الحسين بالآستانة يعمل ليومه الذي يرجوه، ويسعى لتحقيق فكرته

التي ملأت رأسه، والتي كان يعتقد أن تحقيقها لا يتم إلا على يد أوروبية. فمن ثم أخذ يتصل بالأوروبيين السياسيين في الآستانة ويستعين بهم على مأربه. وقد تبين واضحًا ما كان يحمله الحسين في نفسه من الثقة بالأوروبيين في الحرب العالمية حين استعان بالخلفاء استعانة كان خيرها لهم وشرها له وللعرب والمسلمين. (٢٦)

توفي الشريف حسين بن علي في العاصمة الأردنية عمان في ٤ يونيو ١٩٣١ عن عمر يناهز ٧٩ عامًا. ومن الأسباب الرئيسية لوفاته كان تصلب الشرايين، وهي حالة تتراكم فيها الدهون والكوليسترول ومواد أخرى داخل الشرايين، مما يؤثر على أي شريان في الجسم ويؤدي إلى تضييقه وتصلبه وتقليل تدفق الدم. بالإضافة إلى ذلك، كان عمره الكبير يجعله عرضة لمختلف الأمراض، وقد عاش حياة صعبة بعد فقدانه لحكم الحجاز، وانتقل للعيش في قبرص، وقد تكون ظروف المنفى قد أثرت على حالته الصحية والنفسية.

﴿ والدة الأمير فيصل ﴾

الشريفة عابديه بنت عبد الله بن محمد بن عبد المعين بن عون بن محسن بن الحسن بن عبد الله، تنتمي إلى عائلة العبادة الأشراف، وهي ابنة عم والد الأمير فيصل الشريف حسين بن علي. تزوجها الشريف حسين بن علي بعد عودته من الأستانة عقب وفاة والده. توفيت والدته عام ١٨٨٦ م . بعد وفاة الشريفة عابديه، والدة الأمير فيصل، تولت جدتهم الشيخة صالحة بنت غرم الشهرية العسيلية، أم علي بن محمد بن عبد المعين بن عون، رعايتهم، بمساعدة ابنتها هيا بنت محمد، عمة الشريف حسين بن علي، حيث أحسنت تربية الأولاد وأنشأتهم نشأة عربية. (٢٧)

***

﴿ أشقاؤه ﴾

كان للملك فيصل ثلاثة إخوة، وهم عبد الله بن الحسين وعلي بن الحسين،

اللذان كانا شقيقين من أبيه وأمه. أما أخوه الأمير زيد، فقد وُلِد في الآستانة عام ١٨٩٦ ، ووالدته تُدعى عديلة خانم، وهي من نسل الصدر الأعظم رشيد باشا الكبير. أنجب الشريف حسين أربعة أبناء، أصبح ثلاثة منهم ملوكًا فيما بعد، وهم: الملك فيصل الأول الذي تولى عرش العراق بدعم من بريطانيا، والملك عبد الله الذي أصبح ملك المملكة الأردنية الهاشمية، والملك علي الذي تولى حكم الحجاز.

***

﴿ زواجه وأولاده ﴾

تزوج الملك فيصل من ابنة عمه الشريف ناصر بن علي، الشريفة حزيمة، بعد أن أجبره والده الشريف حسين على الزواج في أحد أشهر عام ١٩٠٥م . ورزق الملك فيصل بالملك غازي بن فيصل عام ١٩١٢م ، الذي أصبح خليفة لوالده بعد وفاة الملك فيصل بشكل مفاجئ في بون .

عام ١٩٣٣ م . أنجب الأمير ثلاثة أميرات: الأميرة عزة بنت فيصل، التي ولدت عام ١٩٠٦ م ، والأميرة راجحة بنت فيصل، التي ولدت بعد عام من الأميرة عزة، والأميرة رفيعة، التي ولدت عام ١٩١٠ م . كانت العلاقة بين فيصل وزوجته الأميرة حزيمة سيئة، وقد يُعتبر إجبار والده له على الزواج منها سببًا في ذلك، أو ربما لأن الأميرة حزيمة لم تكن بالجمال الذي يتخيله فيصل. ومع ذلك، كان الأمير فيصل يحب أولاده ويعتني بهم، وتقول الأميرة بديعة إن الملك أصبح فيما بعد يعطف على الأميرة حزيمة وتطورت بينهما علاقة حب ومودة. [٢٨]

***

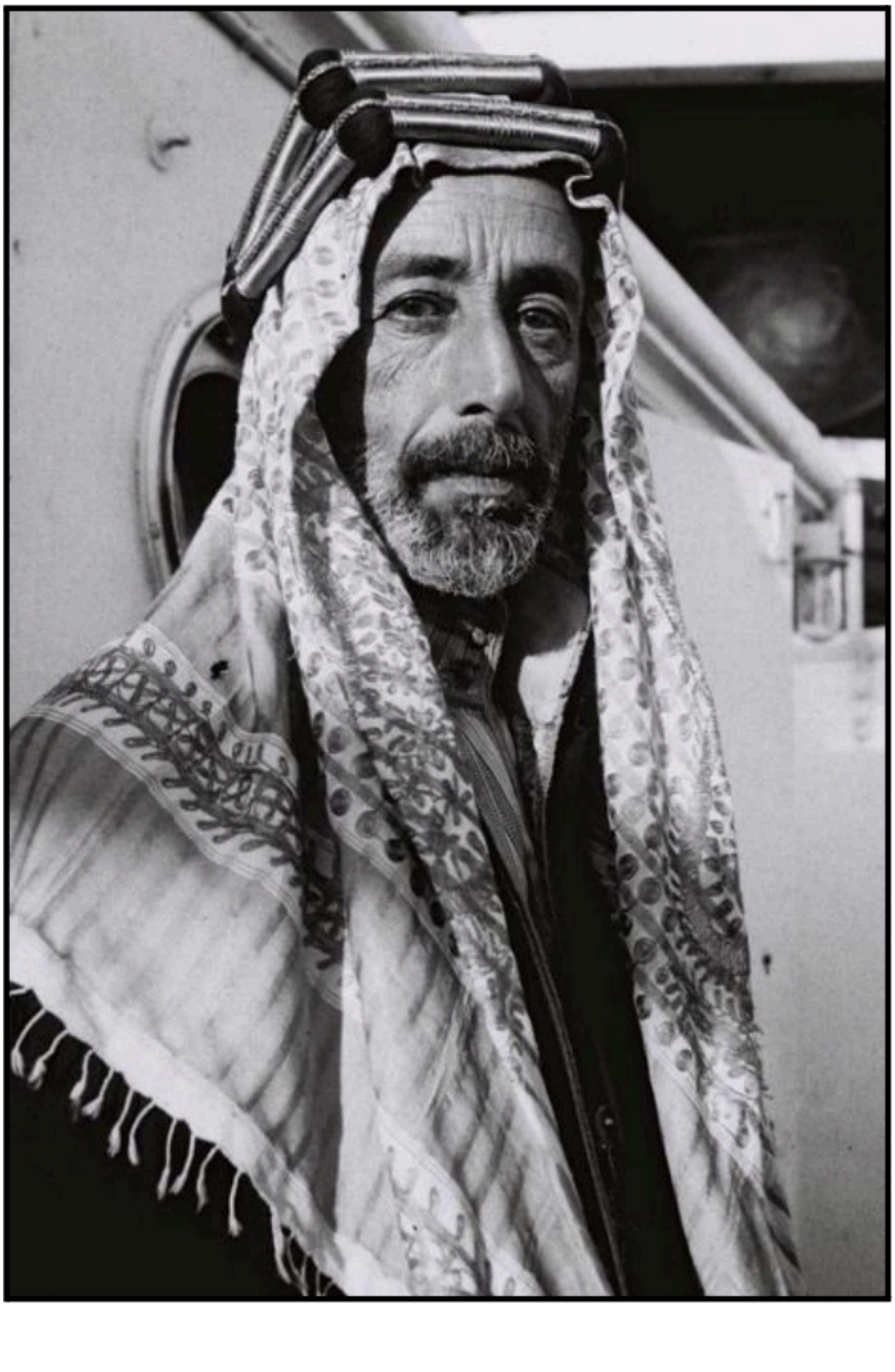
﴿ الملكة حزيمة زوجة الملك فيصل ﴾

هي الملكة حزيمة بنت ناصر ، ابنة عم الملك فيصل ، ولدت في مكة المكرمة وقضت صباها فيها . و قضت شطراً من حياتها في إسطنبول.

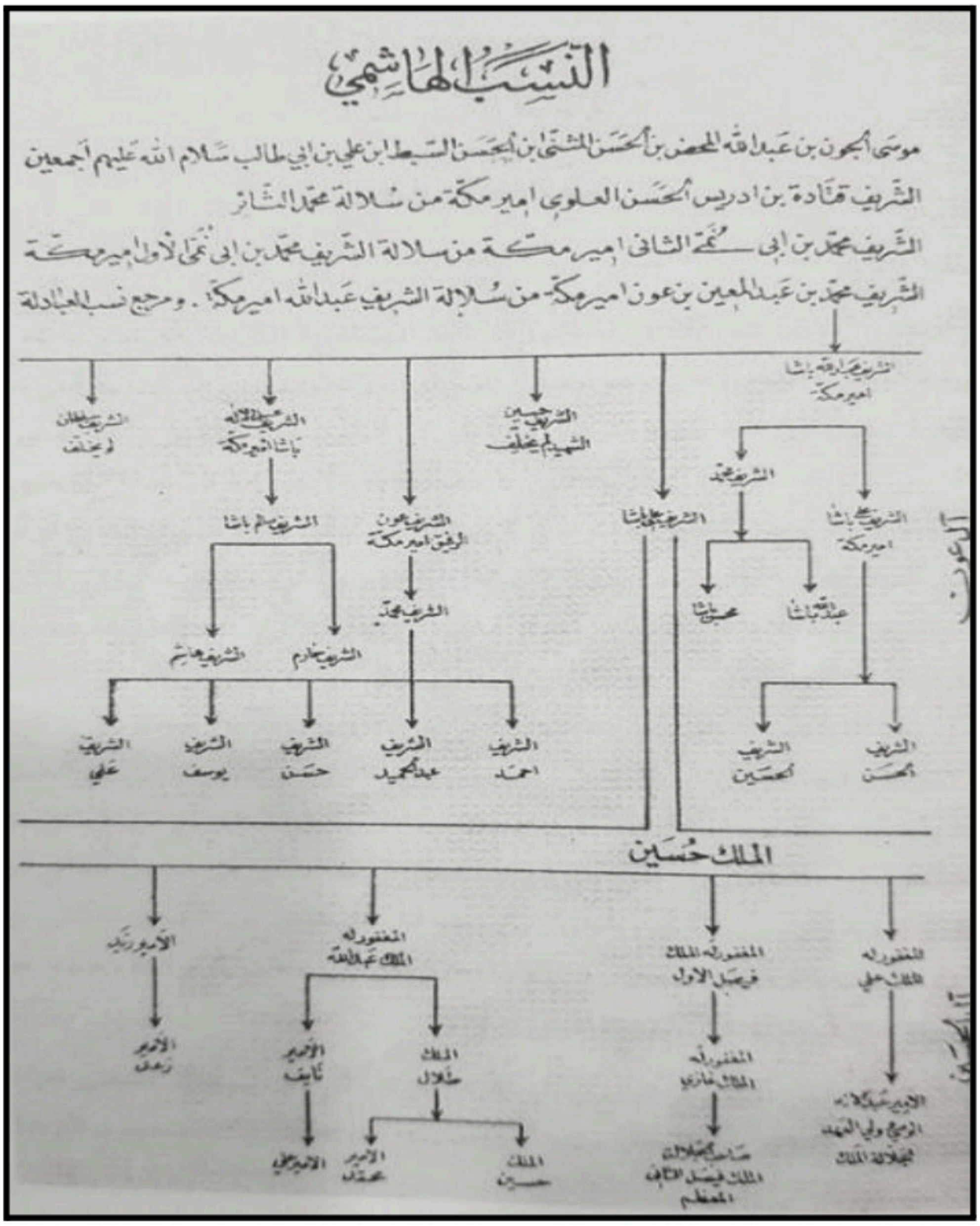
ودعيت بأميرة العرب، وشريفة. ولدت في أحد أيام سنة ١٨٨٤، وتزوجها الأمير فيصل عام ١٩٠٤ في إسطنبول. لقبت الأميرة حزيمة بملكة سورية.. وأقامت في القصر الملكي بدمشق. وقد فقدت لقبها بعد خروجهم من سورية ١٩٢٠ ووصلت إلى الحجاز مع أولادها وبقيت أربع سنوات، ولكنها غادرت الحجاز مضطرة بسبب معركة الهدى الفاصلة بين الأشراف الحجازيين وبين السعوديين النجديين؛ فكان أن أمر الملك حسين الأب بترحيل أهل بيته وكل ذويه إلى جدة. ولكن أسرة فيصل الأول توجهت منها إلى عمان فمكثوا فيها مدة ثم غادروا إلى العراق بعد حزيران ١٩٢٤، عقب تسمية الأمير غازي ولياً للعهد من طرف المجلس التأسيسي، ووصلت إلى بغداد من عمان عام ١٩٢٤ لقبت بملكة العراق وأقامت مع زوجها وعائلتها في عدة بيوت ببغداد. لقبت بالملكة الأم بعد رحيل زوجها حتى وفاتها ببغداد ١٩٣٥ ودفنت إلى جوار زوجها في المقبرة الملكية في الأعظمية ببغداد. وقد وصفتها المس

جرترود بيل قائلة " لقد كانت الملكة حزيمة امرأة خجولة حساسة وذات جاذبية إلى جانب ما حباها الله به من لطف وكرم أخلاق " ، وكان لها نفس الشمائل الموجودة عند الملك. توفيت الملكة حزيمة في ٢٧ آذار ١٩٣٥ في إثر سكتة قلبية . [٢٩]

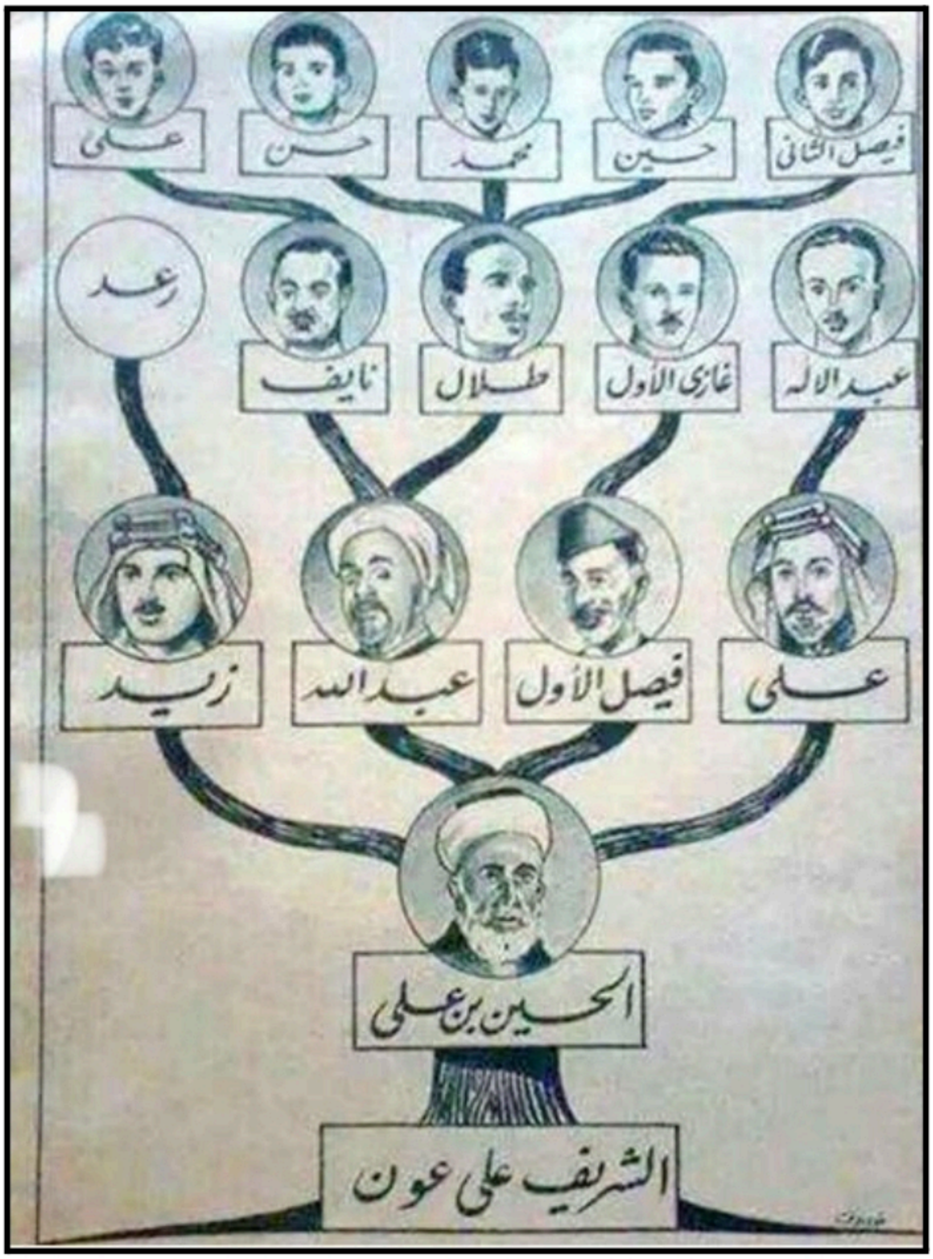
الأمير علي بن الشريف حسين شقيق الملك فيصل الاول



النسب الهاشمي



شجرة عائلة الشريف حسين بن علي



هوامش الفصل الأول

(١) ابراهيم محمد ، الدور السياسي والعسكري للملك فيصل الاول خلال الفترة ١٩٠٨ - ١٩٢٠ ، الأردن ، عمان ، ص ٢٣ .

(٢) الأشراف العونية العبادلة هم فرع من الأشراف العبادلة، نسبة إلى جدهم الشريف عون بن محسن بن حسين بن عبدالله بن حسين بن عبدالله، وهم سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما. وقد تفرع من نسل الشريف عون ثلاثة فروع رئيسية: فرع محمد (أهل الإمارة وينحدرون من الشريف عبدالمعين بن عون)، وفرع هزاع (ينحدرون أيضًا من الشريف عبدالمعين بن عون)، وفرع ناصر (ينحدرون من الشريف فواز بن عون، وفيهم كانت إمارة الطائف عندما كانت الشرافة العامة في ذوي عون). وتجدر الإشارة إلى أن الشرافة العامة في ذوي عون كانت محصورة في نسل محمد بن عبد المعين بن عون، ويُعتبر الأمير فيصل بن الحسين بن علي من هذا الفرع.

(٣) الحسني ، معجم أشراف الحجاز ، ج٣ ، ص ١٤٣٥ .

(٤) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٥ .

(٥) هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية، حكم من عام ١٥١٢ م حتى وفاته عام ١٥٢٠ م . يُعتبر من أبرز وأقوى السلاطين العثمانيين وأكثرهم تأثيراً في تاريخ الدولة. يُعرف بشخصيته القوية والحازمة، وذكائه السياسي والعسكري الحاد، وطموحاته التوسعية الكبيرة.. واجه سليم الأول في بداية حكمه صراعاً على السلطة مع إخوته وأبناء أخيه،

وتمكن بحزم وقوة من القضاء على منافسيه وتوطيد حكمه بشكل كامل.كما يُعد عهد سليم الأول نقطة تحول في توجه التوسع العثماني. فبدلاً من التركيز التقليدي على أوروبا، وجه سليم الأول اهتمامه نحو الشرق والجنوب، محققاً انتصارات حاسمة غيرت موازين القوى في المنطقة. خاض حرباً شرسة ضد الدولة الصفوية الشيعية في إيران، ونجح في هزيمة الشاه إسماعيل الصفوي في معركة جالديران عام ١٥١٤ م ، مما أمن الحدود الشرقية للدولة العثمانية وأضعف النفوذ الصفوي في المنطقة

و بعد سيطرته على مكة والمدينة، حصل سليم الأول على لقب "خادم الحرمين الشريفين"، وهو لقب ذو أهمية دينية وسياسية كبيرة أكسب الدولة العثمانية مكانة مرموقة في العالم الإسلامي.

(٦) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٥ .

(٧) سهل واسع يقع شمال مدينة حلب في سوريا. اكتسب هذا المرج أهمية تاريخية كبرى بسبب وقوع معركة حاسمة فيه بين الدولة المملوكية بقيادة السلطان قانصوه الغوري والدولة العثمانية بقيادة السلطان سليم الأول في الرابع والعشرين من شهر رجب سنة ٩٢٢ هـ الموافق للرابع والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٥١٦ م .

كانت هذه المعركة نقطة تحول مفصلية في تاريخ المنطقة، حيث أسفرت عن هزيمة ساحقة للمماليك ومقتل سلطانهم قانصوه الغوري. ونتيجة لهذا الانتصار، تمكن العثمانيون من السيطرة على بلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) ومصر والحجاز، مما أنهى حكم المماليك في هذه

المناطق وفتح الباب أمام التوسع العثماني في العالم العربي.

(٨) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٦ .

(٩) اميرة حسين محمود ، العثمانيون والعرب دراسة في المنظور التاريخي المعاصر ، ص ٣٨٦ .

(١٠) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٩ .

(١١) والي عثماني أسس مصر الحديثة. وصل إلى السلطة عام ١٨٠٥ ، وقضى على المماليك، وأطلق إصلاحات واسعة في الجيش والإدارة والاقتصاد والتعليم والأشغال العامة. قاد حروبًا توسعية ناجحة في شبه الجزيرة العربية والسودان، يُعتبر مهندس نهضة مصر الحديثة رغم حكمه المركزي.

(١٢) أمير مكة المكرمة لعدة فترات في النصف الأول من القرن التاسع عشر. من الأشراف العَوْنيين. عاصر صعود محمد علي باشا وكانت علاقتهما متأرجحة. سعى للحفاظ على استقرار مكة وتأمين الحج في ظل الحكم العثماني والتنافس الإقليمي.

(١٣) عبد الله بن محمد بن عون هو الأمير الذي خلف والده الشريف محمد بن عون في إمارة مكة، واستمر في هذا المنصب لفترة طويلة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مواجهًا تحديات إدارة الحرمين والحفاظ على الاستقرار في ظل الظروف السياسية والاقتصادية لتلك الفترة.

(١٤) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٠ .

(١٥) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٣ .

(١٦) لطفي جعفر فرج ، الملك فيصل الثاني آخر ملوك العراق ، الدار العربية للموسوعات ، لبنان ، بيروت ، ص ١٩.

(١٧) إبراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ٣١ ؛ حمادة وضبيان، محمد عابدين ومحمد تيسير، فيصل من المهد إلى اللحد، المطبعة العصرية، دمشق، ١٩٣٣ ، ص ٢٤ .

(١٨) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٢.

(١٩) قرية الرحاب وهي قرية توجد في شمال مكة المكرمة .

(٢٠) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٢ .

(٢١) حمادة وضبيان ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٥ .

(٢٢) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٢ - ٣٣ .

(٢٣) حسين بن محمد نصيف ، ماضي الحجاز وحاضره ، ج١ ، ط١ ، ص ٣ .

(٢٤) حسين نصيف ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣ .

(٢٥) حسين نصيف ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤ .

(٢٦) حسين نصيف ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤ .

(٢٧) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٤ .

(٢٨) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٤ .

(٢٩) سيار الجميل ، الملك فيصل الاول ١٨٨٣ - ١٩٣٣ ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٢١ ، ص ٥٢ .

الفصل الثاني

العلاقات العربية العثمانية قبل إعلان الثورة العربية الكبرى

لم يكن إعلان الثورة العربية الكبرى مجرد تصرف عفوي ، ولم تكن تحركاتها العسكرية وليدة الصدفة، بل جاءت الثورة كنتيجة طبيعية لظروف سياسية وعسكرية وقومية. كما كانت تعبيرًا عن وعي عربي تشكل بفعل الثقافة القومية التي سادت في تلك الفترة. وقد لعب الأمير فيصل بن الحسين دورًا مهمًا إلى جانب والده الشريف الحسين وإخوته عبدالله وعلي وزيد، بالإضافة إلى بقية الأحرار العرب.

وقد تزامن إعلان الثورة مع اندلاع الحرب العالمية الأولى ، التي اندلعت كالنار في الهشيم في اوربا ، مما أدى إلى تغييرات كبيرة في السياسة الدولية، وأثر بشكل واضح على خريطة الشرق الأوسط، خاصة بعد أن دخلت الدولة العثمانية مرحلة الضعف، وهو ما دفع الدول الأوروبية إلى السعي لاستغلال هذا الوضع . ساهم هذا المناخ، بالإضافة إلى سياسة التتريك التي انتهجتها جمعية الاتحاد والترقي [٣٠] ، في تصاعد الشعور القومي العربي، مما مهد الطريق لإعلان الثورة العربية الكبرى ، بقيادة الشريف حسين بن علي وأولاده .

﴿ نظرة عن نشأة الدولة العثمانية ﴾

في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي، كانت الأناضول - أو آسيا الصغرى - ساحةً لصراعات لا تهدأ بين بقايا الدول الإسلامية المتفككة، والقبائل التركية المهاجرة، والقوى المسيحية الطامعة بالتوسع. في هذا المناخ المضطرب، بدأت قصة قبيلة صغيرة ستتحول لاحقًا إلى إمبراطورية عظيمة، هي الدولة العثمانية [٣١] .

ترجع أصول العثمانيين إلى قبائل الأوغوز التركية، وهي قبائل رعوية بدوية كانت تتنقل في أواسط آسيا. تحت ضغط الغزو المغولي بقيادة جنكيز خان، اجتاحت هذه القبائل منطقة خراسان (في ايران حالياً) ، ومنها توجهت نحو الأناضول بحثًا عن موطن آمن. ومن بين هذه القبائل كانت قبيلة قايي التي يرأسها الزعيم التركي أرطغرل بن سليمان شاه [٣٢]. توجه أرطغرل مع أتباعه نحو الغرب، حتى استقروا قرب مدينة سُغوت على حدود الدولة البيزنطية. وهناك تحالف أرطغرل

مع سلاجقة الروم، وأصبح قائدًا لفرقة من القوات المرابطة على الثغور، يحارب أعداء الإسلام ويوسع رقعة نفوذ السلاجقة. بفضل شجاعته وخبرته الحربية، حصل أرطغرل على أراضٍ واسعة مكافأة له [٣٣].

بعد وفاة أرطغرل سنة ١٢٨٠ م تقريباً، خلفه ابنه عثمان الأول بن أرطغرل، الذي ستنسب إليه الدولة لاحقًا [٣٤].

استلم عثمان الراية في لحظة تاريخية دقيقة: كانت سلطة السلاجقة قد ضعفت بشدة بعد اجتياح المغول لمناطقهم. ومع غياب سلطة مركزية قوية، استقل عثمان بإمارته الصغيرة، وأخذ يوسعها تدريجياً عبر الفتوحات العسكرية ضد البيزنطيين وضد الإمارات التركية المنافسة [٣٥].

في عام ١٢٩٩ م ، أعلن عثمان استقلاله التام، وأسّس دولته التي سميت

بالدولة العثمانية (نسبةً إلى اسمه) [٣٦] . كان شعاره الجهاد ضد الكفار، مما جذب إليه العديد من المجاهدين والمقاتلين الأتراك الراغبين في الغنائم ونشر الإسلام.

كان عثمان يتمتع بشخصية قيادية فذة: شجاع، حازم، بسيط في معيشته، ومتدين بصدق. وقد وضع أسس الدولة الناشئة على قواعد دينية وعسكرية واضحة [٣٧] . لم يكن نجاح عثمان ومن خلفه من السلاطين محض صدفة، بل نتج عن مجموعة من العوامل المهمة، أبرزها:

١. ضعف الدولة البيزنطية، التي كانت تعيش حالة من التدهور السياسي والعسكري الداخلي [٣٨] .

٢. التفكك السياسي في العالم الإسلامي، خاصة بعد سقوط بغداد بيد المغول سنة ١٢٥٨ م ، وغياب سلطة الخلافة المركزية [٣٩] .

٣. الموقع الجغرافي للأناضول، الذي وفر فرصًا واسعة للغزو والتوسع

بين آسيا وأوروبا [٤٠] .

٤. الحماسة الدينية، حيث رفع العثمانيون شعار الجهاد الديني منذ البداية، مما أكسبهم شرعية وشعبية واسعة [٤١] .

٥. النظام العسكري والتنظيمي الصارم، الذي ظهر منذ عهد أورخان، خاصة مع تأسيس جيش الإنكشارية [٤٢] .

توسع الدولة العثمانية بعد عثمان الأول :

بعد وفاة عثمان سنة ١٣٢٦ م ، تولى ابنه أورخان غازي الحكم. استطاع أورخان أن يوسع حدود الدولة بشكل كبير، ففتح مدينة بورصة وجعلها عاصمة للدولة[13]. كما أسس أول نواة لجيش نظامي عرف باسم الإنكشارية، الذي سيصبح لاحقًا عماد القوة العسكرية العثمانية [٤٣] .

واستمر التوسع العثماني عبر الأجيال ، حيث عبر العثمانيون إلى

أوروبا لأول مرة عبر مضيق الدردنيل. كما فتحوا أجزاء واسعة من البلقان، مثل تراقيا ومقدونيا. فضلا عن انتصارهم على الصرب والبلغار والمجريين في معارك حاسمة مثل معركة كوسوفو الأولى سنة ١٣٨٩ م (٤٤).

تحول الدولة العثمانية إلى إمبراطورية :

بلغت الدولة العثمانية ذروة جديدة عندما تمكن السلطان محمد الثاني (محمد الفاتح) في عام ١٤٥٣ م ، من فتح مدينة القسطنطينية، عاصمة الإمبراطورية البيزنطية القديمة، وأعاد تسميتها إلى إسطنبول (٤٥) ، بهذا الفتح، أنهى العثمانيون ألف عام من الحكم البيزنطي، وأصبحت دولتهم إمبراطورية عظيمة ذات طابع عالمي.

الدولة العثمانية والشرق العربي :

خلال القرن السادس عشر، اتجه العثمانيون نحو السيطرة على المناطق العربية. ففي عهد السلطان سليم الأول، هزموا المماليك في معركة مرج دابق سنة ١٥١٦ م ثم دخلوا دمشق والقاهرة، وبسطوا نفوذهم على بلاد الشام ومصر [٤٦] ، كما دخلت الحجاز والعراق وشبه الجزيرة العربية ضمن السلطنة.

ختاماً إن تأسيس الدولة العثمانية لم يكن مجرد نشوء لإمارة حدودية صغيرة، بل كان بداية لفصل جديد في تاريخ العالم الإسلامي. بقي العثمانيون على رأس الخلافة الإسلامية لقرون عديدة، وكان وجودهم وصراعاتهم مع القوى الأوروبية جزءًا رئيسيًا من البيئة السياسية التي ظهر فيها لاحقًا الملك فيصل بن الحسين، عندما حمل شعلة الثورة العربية الكبرى، وسعى لتحرير العرب من الحكم العثماني في أواخر أيام الدولة.

* * *

﴿ نظرة سريعة عن العلاقات العربية العثمانية ﴾

بدأت العلاقات العربية التركية مبكراً، وقد يكون أول اتصال للعرب بالترك بزمن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان ، عندما سير جيشاً بقيادة عبيد الله بن زياد عام ٥٤هـ، وما تبعه بعد ذلك من دخول الأتراك للإسلام، إلا أن ظهور الأتراك على الساحة العربية بدأ أكثر وضوحاً في العصر العباسي الثاني أو ما سمي بعصر النفوذ التركي، وكان لهم دور واضح في مسرح الحياة الاجتماعية والسياسية [٤٧].

تختلف المصادر في أول من استخدم الترك من الخلفاء العباسيين، إلا أن معظمها يرجح أن الخليفة المعتصم بالله هو أول من استخدمهم في الجيش ، وذلك لان المعتصم أظهر ميولاً لجمع الاتراك ، وزوجهم من نفس جنسهم، ويكون بذلك قد كون عصبة جديدة داخل المجتمع العربي [٤٨].
وفي عهد المتوكل بن المعتصم زاد نفوذ الأتراك في أمور الدولة [٤٩].

بعد ما أن قامت الدولة العثمانية، واتجهت امتداداتها لفتح أوروبا، حيث سيطر العثمانيون على العالم العربي بعد انتصار سليم الأول على المماليك، فقد سيطر على الشام ومصر بعد معركة مرج دابق قرب حلب في عام ٩٢٢هـ الموافق آب/أغسطس ١٥١٦م، ومعركة الريدانية [٥٠] قرب القاهرة في محرم ٩٢٣هـ الموافق آذار/مارس ١٥١٧م، وبهذه الانتصارات بلغت الدولة أوج قوتها في عهد سليم الأول [٥١] ، وأصبح السلطان العثماني حامي الحرمين الشريفين وخليفة المسلمين بعد تنازل الخليفة العباسي المتوكل على الله الذي أُرسل إلى الأستانة، والتي أصبحت عاصمة الدولة العثمانية المترامية الأطراف. في عام ١٩٠٨م، كانت الدولة العثمانية قد وصلت إلى مرحلة ضعف شديد، حتى صار يُطلق عليها لقب "الرجل المريض".

إذ شهد القرن التاسع عشر تطورات كبيرة ساهمت في هذا الانهيار، منها سوء الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية داخل الدولة، بالإضافة

إلى تدهور علاقاتها الخارجية. ازدادت الضغوط الأوروبية على الدولة العثمانية بحجة حماية حقوق المسيحيين، مدعين أن الدولة تميز بين المسلمين والمسيحيين. استغلت القوى الأوروبية هذه الذريعة لتحقيق مصالحها: ففرنسا زعمت حماية الكاثوليك، و بريطانيا اهتمت بحماية البروتستانت واليهود، وروسيا تولت الدفاع عن الأرثوذكسية. ورغم هذه الضغوط، حاول بعض السلاطين العثمانيين القيام بإصلاحات للتقليل من التدخل الأجنبي، مثل: إصدار "قانون الولايات" (٥٢) عام ١٨٦٤م في عهد السلطان عبد العزيز (١٨٦١–١٨٧٦م)، وعقد "مؤتمر الترسانة" (٥٣) في عهد السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٨٧٦ م .

﴿ الدولة العثمانية تقمع الثورات العربية ﴾

لم تكن السيطرة العثمانية على البلاد العربية في القرن السادس عشر عملية سلسة خالية من التحديات، بل واجه العثمانيون مقاومة محلية متعددة الأشكال، تمثلت في ثورات وتمردات اندلعت بين الحين والآخر

في مختلف أرجاء الوطن العربي. كان السبب الجوهري وراء هذه الحركات يتمثل في سوء الإدارة العثمانية، وفرض الضرائب الباهظة، واستبداد بعض الولاة، إضافة إلى التدهور الاقتصادي والاجتماعي الذي أصاب العديد من المناطق العربية. ومع اتساع رقعة الدولة العثمانية بعد انتصاراتها الكبرى على المماليك والبيزنطيين، بات من الصعب على السلطة المركزية في إسطنبول إحكام سيطرتها المحكمة على أطراف الدولة البعيدة.

في بلاد الشام، شهدت مدينة دمشق اضطرابات عديدة بسبب قسوة بعض الولاة العثمانيين وتجاوزاتهم بحق الأهالي. هذه المعاملة أدت إلى حالة من السخط الشعبي، وتكررت حركات العصيان التي كانت في الغالب تُقمع بالقوة العسكرية المباشرة [٥٤].

أما في اليمن، فقد واجه العثمانيون مقاومة عنيدة من القبائل اليمنية. كان اليمن يتمتع بخصوصية جغرافية وقبلية معقدة، مما جعل السيطرة عليه

أمراً صعباً. اندلعت عدة ثورات ضد الحكم العثماني، حيث رفضت القبائل التدخل العثماني المباشر في شؤونها، ورفضت بشدة الضرائب والإتاوات المفروضة. اضطرت الدولة العثمانية إلى إرسال أكثر من حملة عسكرية لإخضاع المناطق المتمردة، وكان القتال ضارياً وطويل الأمد، مما أرهق الخزينة العثمانية واستنزف الكثير من جهدها العسكري [٥٥].

وفي الحجاز، ظهرت بوادر مقاومة أخرى تمثلت برفض بعض القبائل للسيطرة العثمانية على مكة والمدينة. حاول العثمانيون تثبيت نفوذهم عبر التحالف مع بعض زعماء القبائل، وأحيانًا من خلال القوة العسكرية، لضمان الحفاظ على رمزية حماية الحرمين الشريفين، التي كانت جزءًا مهمًا من شرعية السلطان العثماني كخليفة للمسلمين [٥٦].

أما العراق، فقد شهد بدوره اضطرابات لا تقل خطورة عن سائر المناطق العربية. في مدينة البصرة على وجه الخصوص، اندلعت

محاولات تمرد، نتيجة صراع العشائر المحلية مع الوالي العثماني ومحاولته فرض سلطة الدولة بالقوة. وبالرغم من نجاح العثمانيين في إعادة السيطرة، إلا أن المنطقة بقيت متوترة وغير مستقرة لفترات طويلة (٥٧).

اتسم رد الفعل العثماني تجاه هذه الحركات بالشدة والحسم. كانت الدولة ترسل قوات كبيرة لقمع التمردات، وكان من المعتاد أن تُفرض عقوبات قاسية على قادة الثورات، مثل الإعدام أو النفي، بالإضافة إلى تغيير الولاة وإرسال من يتمتعون بسمعة عسكرية قوية لضبط الأوضاع. ومع ذلك، لجأ العثمانيون أحيانًا إلى سياسة التهدئة، عبر تقديم تنازلات مؤقتة مثل تخفيض الضرائب أو تعيين وجهاء محليين في المناصب الإدارية لإرضاء السكان. على الرغم من أن الدولة العثمانية استطاعت، بفضل قوتها العسكرية والتنظيمية، أن تخمد معظم حركات التمرد في القرن السادس عشر، إلا أن جذور الغضب الشعبي لم تُقتلع بالكامل. فقد بقيت

روح الرفض والتمرد كامنة في صدور العرب، تنتظر الفرصة المناسبة للانفجار من جديد.

وقد شكلت هذه المرحلة التمهيدية الأساس للمراحل اللاحقة من التوتر العربي العثماني، الذي بلغ ذروته مع اندلاع الثورة العربية الكبرى في بدايات القرن العشرين، عندما حمل الشريف الحسين بن علي ونجله الأمير فيصل بن الحسين راية التحرر من الحكم العثماني المتهاوي. وتسليم العرب الى الغرب والاستعمار البريطاني !

﴿ انهيار الدولة العثمانية ﴾ (٥٨)

من جملة الأسباب التي أدت إلى ضعف الدولة العثمانية، ومن ثم انهيارها وزوالها:

١- - غرور العثمانيين واستعلاؤهم على الشعوب الخاضعة لهم، ثم

الابتعاد عن تحكيم شرع الله سبحانه وتعالى، وخصوصاً أواخر السلاطين.

٢ - سطحية نظام الحكم الذي مُورس، حيث كان يقوم على أسس من البداوة، فهو لم يتجاوز قطاعات مثل المحافظة على الأمن الداخلي، وجمع الضرائب، وتنظيم القضاء.

٣ - الجمود الذي سيطر على المجتمع العثماني وأجهزة الحكم. فبعد الفتوحات التي حققها العثمانيون خلال مراحل تاريخهم، لم يتماشِ العثمانيون مع التطور الحديث.

٤ - تولي بعض السلاطين العرش في سن مبكرة جداً تراوحت أعمارهم بين سن السابعة، والرابعة عشرة، ثم انصراف البعض الآخر عن ممارسة شؤون الحكم فكانوا لا يخرجون إلى القتال. فنتج عن ذلك الفساد الذي دب في جسم الجيش الانكشاري [٥٩].

٥ - رفض فتح باب الاجتهاد، فقد أصبحت الدعوة بفتح باب الاجتهاد تهمة تصل إلى الرمي بالكفر. وهذا ما شجع المتغربين بالسعي الحثيث لاستيراد المبادئ والنظم من الغرب.

٦ - انتشار الظلم والفساد في الدولة، لقد قام بعض البشوات بأفعال قبيحة وسفكوا الدماء واغتصبوا الأموال.

٧ - الترف والانغماس في الشهوات، وهذا الانحراف يخالف المنهج الذي سارت عليه الخلافة العثمانية زمن قوتها. وكان من وصايا محمد الفاتح لابنه

٨ - نفوذ الحريم السلطاني في نظام الحكم. وتأثير ذلك على مصير الدولة والأمثلة من تاريخ الدولة كثيرة على دور هذا النظام السلطاني في المساعدة على انهيار الدولة.

٩ - نظام الإقطاع الحربي ونظام الالتزام، وتأثيرهما على قدرات الدولة

العسكرية.

١٠ - الامتيازات الأجنبية، التي تطورت من معاهدات تجارية عادية بين دولتين إلى امتيازات تتمتع بها دولة واحدة من الدولتين المتعاقدتين ي أراضي الدولة الثانية، ثم إلى جوازات رسمية تبيح تدخل هذه الدولة المتعاقدة في شؤون الدولة الأخرى.

١٢ - البعثات التنصيرية التي مارست نشاطاً دينيّاً في بعض الولايات العثمانية وبخاصة في بلاد الشام ابتداء من القرن السابع عشر. حيث كانت هذه البعثات أداة طيعة في يد الحكومات الأوروبية تعتمد عليها في بسط نفوذها السياسي والثقافي والديني على الولايات التي سيطرت عليها، أو تتطلع إلى امتلاكها. وغدا النشاط التبشيري من أقوى الركائز الاستعمارية.

سلاطين الدولة العثمانية



التقسيمات الإدارية للدولة العثمانية



هوامش الفصل الثاني

(٣٠) هي حركة سياسية عثمانية تأسست في أواخر القرن التاسع عشر، ونشطت بدايةً كجمعية سرية معارضة استبداد السلطان عبد الحميد الثاني، مطالِبة بإعادة العمل بالدستور العثماني لعام ١٨٧٦ م ،. برزت بقوة بعد ثورة ١٩٠٨ م ، حيث سيطرت على الحكم فعليًا حتى نهاية الدولة العثمانية. تبنّت أفكارًا قومية وتحديثية، لكنها تورطت في سياسات قمعية أبرزها مذابح الأرمن. انتهى دورها مع هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى.

(٣١) عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٢٣٢ .

(٣٢) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص٥ .

(٣٣) علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب

السقوط، ص ٢٠ .

(٣٤) علي محمد الصلابي، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٣ .

(٣٥) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص ٧ .

(٣٦) د. يوسف حسين نعيسة، تاريخ الدولة العثمانية، ص ١٥ .

(٣٧) يوسف حسين نعيسة، المصدر السابق الذكر ، ص ١٨ .

(٣٨) كمال علي الطاهر، تاريخ الدولة العثمانية السياسي والحضاري، ص ١١ .

(٣٩) الدوري، مقدمة في تاريخ العرب قبل الإسلام، ص ٢٣٩ .

(٤٠) محمد فريد بك، المصدر السابق الذكر ، ص ٩ .

(٤١) علي محمد الصلابي، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٠ .

(٤٢) محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص ٤٥ .

(٤٣) محمد حرب، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٨ .

(٤٤) يوسف نعيسة، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٨ .

(٤٥) محمد فريد بك، المصدر السابق الذكر ، ص ١٤ .

(٤٦) محمد حرب، المصدر السابق الذكر ، ص ٥٦ .

(٤٧) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، دار التراث، بيروت، ١٩٦٧م، ص٥٥ .

(٤٨) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي في العصر العباسي الثاني، القاهرة، الطبعة الخامسة، مجلد ٥، ص٩٠.

(٤٩) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٤٥.

(٥٠) كانت مواجهة حاسمة بين العثمانيين بقيادة سليم الأول والمماليك بقيادة طومان باي، انتهت بسقوط دولة المماليك وضم مصر إلى الدولة العثمانية، مما مهّد لانتقال الخلافة إلى العثمانيين.

(٥١) ابراهيم محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص

(٥٢) نظام الولايات لعام ١٨٦٤ م ، هو إصلاح إداري صدر في عهد السلطان العثماني عبد العزيز، استُبدل فيه نظام الإيالات القديم بتقسيم إداري موحّد على شكل ولايات، تضم كل منها: ولاية، متصرفية ، قضاء، ناحية، وقرية. وقد أُنشئت مجالس إدارية محلية في كل مستوى إداري، بهدف تحسين إدارة الحكم المحلي، الحد من سلطة الولاة، تعزيز الرقابة المركزية، وتنظيم شؤون التعليم، المالية، والعدالة. كانت ولاية الدانوب أولى المناطق التي طُبق فيها هذا النظام بنجاح، ثم عمّم على باقي أنحاء الدولة.

(٥٣) هو اجتماع عُقد في إسطنبول عام ١٨٧٢ م ، بحضور ممثلي الطوائف غير المسلمة في الدولة العثمانية، لمناقشة شؤونها وتنظيم امتيازاتها ضمن إطار الإصلاحات العثمانية. عكس المؤتمر محاولات الدولة لضبط العلاقة مع الأقليات الدينية، خاصة في ظل الضغوط الأوروبية المتزايدة.

(٥٤) د . عبد الكريم رافق ، العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦ ، ط٢ ، دمشق ، ١٩٩٣ ، ص ٨٣ .

(٥٥) د . عبد الكريم رافق ، المصدر السابق الذكر ، ص ٩٣ .

(٥٦) د . عبد الكريم رافق ، المصدر السابق الذكر ، ص ٨٧ .

(٥٧) . عبد الكريم رافق ، المصدر السابق الذكر ، ص ٨٩ .

(٥٨) د . عدنان العطّار ، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط ، دار وحي القلم ، ص ١٧٨ .

(٥٩) الجيش الإنكشاري كان قوة عسكرية نخبوية تأسست في الدولة العثمانية في أواخر القرن الرابع عشر، تحت قيادة السلطان مراد الأول.

وُظِّف الإنكشاريون في البداية من شبان غير مسلمين تم تجنيدهم عبر نظام "الدوشيرمة"، حيث يتم جمع الأطفال من الأسر المسيحية في المناطق الخاضعة للعثمانيين، وتدريبهم على القتال والتعليم، مما جعلهم من أكثر الجنود ولاءً للسلطان. كان للإنكشاريين دور أساسي في العديد من المعارك الكبرى مثل فتح القسطنطينية في ١٤٥٣ م ، وكانوا يشكلون أيضاً الحرس الشخصي للسلطان. لكن مع مرور الوقت، بدأ الجيش الإنكشاري يعاني من مشاكل داخلية، خاصةً بسبب فساد النظام وامتيازاته المتزايدة. أصبحوا قوة ذات تأثير سياسي كبير، مما أدى إلى تمردات متكررة ضد السلاطين العثمانيين. في عام ١٨٢٦ م ، و ألغى السلطان محمود الثاني الجيش الإنكشاري . للمزيد انظر: شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية .تم نشره لأول مرة عام ١٩١٢ م ، دار الكتب العلمية ، بيروت.

الفصل الثالث

ممهدات وأسباب الثورة العربية الكبرى

شهدت السنوات التي سبقت اندلاع الثورة العربية الكبرى في عام ١٩١٦ سلسلة من التحولات السياسية والفكرية والاجتماعية العميقة، التي دفعت العرب إلى إعادة النظر في علاقتهم بالدولة العثمانية. فمنذ استلام جمعية الاتحاد والترقي زمام الحكم عام ١٩٠٨ ، بدأ العرب يشعرون بتهميش متزايد في مؤسسات الدولة، وتعرضوا لحملات تتريك منهجية طالت لغتهم وهويتهم وثقافتهم. تزامن ذلك مع صعود الفكر القومي العربي، وتشكيل جمعيات سرّية سعت للمطالبة بالإصلاح أو الاستقلال.

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى وتورط الدولة العثمانية فيها، ازداد الوضع سوءًا، حيث عانى العرب من المجاعة، والتجنيد الإجباري، والقمع الوحشي بقيادة جمال باشا في بلاد الشام. كما بدأت المراسلات بين الشريف حسين والبريطانيين، في وقت كانت القوى الاستعمارية تخطط سرًا لتقسيم المنطقة باتفاقية سايكس-بيكو.

في هذا الفصل، نسلّط الضوء على أبرز هذه الأحداث المفصلية، التي

مهّدت الطريق أمام العرب للثورة، وأشعلت شرارة تمرد طال انتظاره.

* * *

١ - ﴿ جمعية الاتحاد والترقي ﴾

وهي من الجمعيات التي ارتبطت بالحركة القومية التركية ، وقد تأسست نواة هذه الجمعية في سنة ١٨٨٩ م ، من قبل طلبة المدرسة الطبية العسكرية السلطانية في الآستانة، وهؤلاء الطلبة هم: إبراهيم تيمو، وإسحاق سكتي ديار بكري، ومحمد جودت، ومحمد رشيد الشركسي، وحسين زاده علي (٦٠) ، وتهدف الجمعية إلى محاربة استبداد السلطان عبد الحميد الثاني وإعادة الحياة الدستورية إلى البلاد (٦١) ، وقد نظمت الجمعية على نسق جمعية الكاربوناري الإيطالية التي تأسست في النصف الأول من

القرن التاسع عشر الميلادي، ولعبت دوراً في الوحدة الإيطالية ، وانتشرت حركتها إلى المدارس العالية الحكومية في الآستانة (٦٢) ، على

اعتبار أن طلبتها كانوا أكثر عرضة للمؤثرات الفكرية الغربية من غيرهم، واتصل اتصالاً بما تمخض عنه أوروبا من منجزات وأفكار تحررية، بفضل التعليم اليومي من مدرسيهم الأوروبيين، وسرعان ما كسبت الجمعية، بفضل توجيهاتها، كثيراً من الأعضاء ، وانتشرت خارج البلاد بين صفوف الأتراك المنفيين في باريس وجنيف ومصر (٦٣).

وكان أول ظهور علني للجمعية سنة ١٨٩٤ م ، عندما قام أعضاء الجمعية بطبعة حجرية سرية، طبعوا فيها بياناً تم توزيعه في أنحاء العاصمة استنبول، حيث عبر أعضاء الجمعية عن أسفهم للأحداث الدامية التي رافقت ثورة الأرمن (٦٤) . واعتبروا السلطان عبد الحميد المسؤول المباشر عن هذه الأحداث، ودعوا البيان إلى التخلص من السلطة الاستبدادية للسلطان ووقع البيان بإسم جمعية الاتحاد والترقي العثماني (٦٥).

ونتيجة لمضايقة الدولة العثمانية لأعضاء الجمعية هرب كثير منهم إلى خارج البلاد، وفي مقدمتهم (المبعوثان) العربيان خليل غانم، وضياء بك الخالدي، والأمير أمين أرسلان، وأحمد رضا، حيث هربوا إلى باريس، ووجدوا فيها ميداناً رحباً لحرية الفكر، فأخذوا يعيدون إصدار صحفهم ، وقد أصدر خليل غانم في باريس جريدة (تركيا الفتاة) ، وفي وقت سابق أصدر جريدة في جنيف أطلق عليه اسم (الهلال) ، وأصدر خليل غانم بالاشتراك مع أحمد رضا في باريس جريدة (المشور) باللغتين العربية والفرنسية ، وكانت الناطق الرسمي بلسان حال الجمعية ، وقد كانت بعض أعدادها تجد طريقاً سرياً إلى إستانبول عن طريق دوائر البريد الأجنبية التي تتمتع بامتيازات خاصة داخل الإمبراطورية [٦٦].

وقد نشرت جريدة (المشور) في صفحتها الأولى الصادرة في ٢٦ ربيع الأول ١٣١٣هـ/ ٣ كانون أول ١٨٩٥م، مقال بعنوان (منهاجنا) يبين أهداف الجمعية، وتعدد هذه الأهداف عرض لآراء الجمعية، تتضمن

حرص الجمعية على سلامة الدولة وضرورة الإصلاح على وجه السرعة، ويدعو إلى استبدال نظام الحكم القائم بنظام يناسب حاجة كل العثمانيين ونشر فكرة النظام والترقي، ويخلص المقال إلى الدعوة لحكومة عثمانية يتساوى فيها جميع العثمانيين في الحقوق والواجبات (٦٧).

وانضم إلى الجمعية في سنة ١٨٩٥م، مراد بك واستطاع الهروب إلى مصر، وبعد مراد برز من أبرز أعضاء الجمعية في مصر، وأصدر فيها جريدة (ميزان)، التي كانت تنشر المقالات المناهضة لحكم السلطان عبدالحميد الثاني (٦٨) .

وخططت الجمعية في إستانبول سنة ١٨٩٦م، لعملية انقلاب عسكري تحكم بحكم السلطان عبدالحميد الثاني وتنصب بدلاً منه السلطان المخلوع مراد الخامس أو شقيقه محمد رشاد، وكان من الممكن أن ينجح الانقلاب لولا علم السلطان بنبأ المحاولة الانقلابية، فقبض على قادة الجمعية

وجرى اعتقال واسع النطاق للمشاركين في العملية، وتلاه حركة النفي إلى المناطق النائية في الدولة وتصفية لأعضاء الجمعية في المدارس العسكرية والوظائف الحكومية (٦٩) .

وبعد المحاولة الانقلابية الفاشلة التي قادتها الجمعية، تركز عمل الجمعية في باريس، خاصة بعد أن بدأت الحكومة المصرية تظهر عدم ارتياحها لنشاطها في البلاد، فأمر رئيس اللجنة الإدارية للجمعية مراد بك بنقل أعماله إلى باريس. فسافر مراد بك وبعض رفاقه إلى باريس سنة ١٨٩٦ م ، ووصل إلى هناك انقسمت الجمعية على نفسها، حيث أصبح مراد بك يمثل الجناح اليميني في الجمعية، بينما يمثل أحمد رضا، الجناح اليساري، وكان مراد يتمتع بشعبية كبيرة بين أعضاء الجمعية، فقد أكسبته ثقافته الواسعة تلك الشعبية (٧٠) .

وزادت الجمعية القوة عندما انضم إليها احد كبار الرجال في العهد العثماني وهو الداماد محمود بن الأمير خليل باشا زوج شقيقة السلطان

عبد الحميد مع ولديه صباح الدين و لطف الله ، ثم هرب بعد سنة ١٩٠٠ م، إسماعيل كمال بك وناظم السلانيكي [٧١] ، وما ان وصل الداماد محمود إلى باريس حتى بدأ بالتعاون مع أعضاء جمعية الاتحاد والترقي و منهم أحمد رضا، وتبادل الرسائل والأفكار مع أعضاء الجمعية وانخرط في حركة مقاومة ضد استبداد عبد الحميد الثاني [٧٢] ، ثم أرسل رسالة إلى السلطان صاغها بلهجة شديدة، وكشف فيها عن جميع مساوئه، وعن الأعمال المختزلة التي ارتكبها بحق شعبه [٧٣] ، ولم يمهل مرض الداماد محمود لمدة فقد توفي في باريس سنة ١٩٠٣ م [٧٤] .

قام صباح الدين وشقيقه لطف الله بتوجيه من أجل عقد مؤتمر لأعضاء جمعية الاتحاد والترقي لتنسيق المواقف وحل المشاكل ورص الصفوف والبحث عن الوسائل التي يمكن بها إقامة الحرية والعدالة والمساواة في الدولة العثمانية وقد زاد هذا التوجه سبعة وأربعين عضوًا يمثلون مختلف

القوميات في الدولة، وخلص إلى اتخاذ القرارات التالية (٧٥) :

١ - الحفاظ على وحدة أراضي الإمبراطورية العثمانية ؛

٢- احترام القوانين الأساسية في الإمبراطورية، وخاصة دستور سنة ١٢٩٣ /١٨٧٦ ؛

٣ - المساواة بين رعايا الدولة في الحقوق والواجبات ؛

٤ - احترام المعاهدات الدولية المبرمة بين الدولة العثمانية والدول الأجنبية وبخاصة معاهدة برلين.

وعلى أي حال ، بعد أن نجحت جمعية الاتحاد والترقي في ثورة ١٩٠٨ بإجبار السلطان عبد الحميد الثاني على إعادة العمل بالدستور العثماني المعلّق منذ عام ١٨٧٨ م بدأت مرحلة جديدة في الدولة العثمانية اتسمت بتزايد النشاط السياسي وعودة الحياة البرلمانية. غير أن هذه المرحلة لم تخلُ من التحديات؛ فقد واجهت الجمعية معارضة من القوى المحافظة

والدينية التي رأت في الإصلاحات الدستورية تهديدًا للمكانة التقليدية للدين والدولة.

وفي نيسان ١٩٠٩ ، تفجّرت هذه التوترات بما عُرف بـ"حادثة ٣١ مارس "، وهي حركة تمرد قادتها بعض الفرق العسكرية والشرائح الدينية في إسطنبول، مطالبين بإلغاء الدستور وعودة الحكم المطلق، إضافة إلى معارضة نفوذ الاتحاد والترقي المتزايد. سرعان ما تحوّلت الحادثة إلى أزمة سياسية خطيرة هددت إنجازات ثورة ١٩٠٨ م ، ووضعت البلاد على حافة الفوضى.

ردّت جمعية الاتحاد والترقي بسرعة وحزم، فشكّلت ما يُعرف بـ"حركة الجيش" (قوة عسكرية خاصة)، بقيادة ضباط موالين للجمعية أبرزهم محمود شوكت باشا، وانطلقت القوات من مدينة سلانيك – مركز ثقل الجمعية – متوجهة نحو إسطنبول. وفي غضون أيام، تمكّنت هذه القوة من دخول العاصمة في ٢٤ نيسان ١٩٠٩ م ، والسيطرة عليها من دون

مقاومة كبيرة، ثم باشرت حملة تطهير ضد العناصر المتمردة، وتم القبض على العديد من المحرضين والمشاركين.

وفي ٢٧ نيسان ١٩٠٩ ، قرر مجلس النواب والعلماء، بمباركة من الجمعية، خلع السلطان عبد الحميد الثاني بحجة تقصيره في منع الفتنة وتحريضه عليها، وتم نفيه إلى مدينة سالونيك. ونُصّب شقيقه محمد الخامس سلطانًا شكليًا لا يملك من السلطة سوى الاسم، بينما أصبحت السلطة الفعلية في يد جمعية الاتحاد والترقي.

كان هذا الانقلاب بمثابة ترسيخ لهيمنة الجمعية على الدولة العثمانية، إذ تحولت من حركة إصلاحية تطالب بالدستور إلى قوة حاكمة تمارس السلطة المباشرة. ورغم أنها رفعت شعارات التحديث والديمقراطية، إلا أن ممارساتها في السنوات التالية أظهرت توجّهًا نحو الاستبداد والقومية التركية، مما ساهم لاحقًا في تصاعد الاحتقان القومي، لا سيما في

المناطق العربية، ومهد الطريق لانفجار الثورة العربية الكبرى وتفكك الدولة العثمانية.

في الختام، تُعد جمعية الاتحاد والترقي من أبرز الحركات السياسية التي ظهرت في أواخر الدولة العثمانية، وقد لعبت دوراً رئيسياً في تحويل نظام الحكم من سلطاني مطلق إلى ملكي دستوري. ومع أن الجمعية رفعت شعارات الإصلاح والمساواة، فإن ممارساتها القومية التركية وسياساتها الإقصائية تجاه القوميات غير التركية، خاصة العرب، ساهمت في زيادة التوتر داخل الدولة. وقد كان لهذه السياسات دور مباشر في اندلاع الثورة العربية الكبرى، إذ شعر العرب بالتهميش والتمييز، فاندفعت القيادات العربية إلى المطالبة بالاستقلال عن الحكم العثماني. وهكذا، فإن تعصب الاتحاد والترقي القومي أسهم في تسريع انهيار الدولة العثمانية، وأدى إلى انشقاقات داخلية كانت من بين أبرز أسباب نهاية الإمبراطورية العثمانية.

٢- ﴿ علاقة جمعية الاتحاد والترقي باليهود والقوى الأجنبية ﴾

كانت صلة جمعية الاتحاد والترقي باليهود قوية تقريباً، إذ إن أكثر قادتها كانوا يهوداً، وكانت صلتهم بالمحافل الماسونية في الدول الأوروبية وطيدة وقوية ، إذ تبنت تلك المحافل نشاطاتهم و غذتها بروح العداء المتأصل للإسلام كما سنبين فيما بعد ذلك و بما يعرف بسياسة التتريك .

و لكون الماسونية

صنيعة يهودية متسترة (٧٦) ، كما يعزز ذلك الرأي هو قول مصطفى صبري بأن كل زعماء جمعية الاتحاد والترقي من الماسون، وأنهم يسعون بكل الوسائل لنشر الماسونية حيث يؤكد بقوله بأنه لم يسلم من اعتداءات الاتحاديين سوى اليهود (٧٧) ، ونجح يهود الدونمة بمساعدة محافل الماسون في تكوين جمعية تركيا الفتاة التي كان مدحت باشا نفسه أول مؤسسيها ، وحملت شعار الحرية والإخاء والمساواة الذي نقلته عن

باريس ، وهو شعار الثورة الفرنسية التي دبرها الماسون كذلك [٧٨].

وكانت الدعاية اليهودية قد نجحت في تصوير مدحت باشا [٧٩] ، كبطل من أبطال العالم، وسمته أبو الأحرار، وسخرت صحف أوربا وإذاعاتها لتمجيد حامل لواء الإصلاح والحرية في الدولة العثمانية،

وبعد أن وضعت الصهيونية [٨٠] العالمية مسألة الاستيطان في فلسطين نصب عينيها سعت إلى التعامل مع المسألة في محورين؛ تمثل المحور الأول في الجهود المكثفة التي بذلها مؤسس الحركة الصهيونية هرتزل [٨١] ، وهو يعرض المسألة الصهيونية على الدول الكبرى ويناشدها مساعدتها منح وطن لليهود في فلسطين، وتمثل المحور الثاني في إقناع السلطات العثمانية بالموافقة على استيطان اليهود في فلسطين، لكنها فشلت في إقناع السلطان عبد الحميد بذلك، فرأى زعماء الصهيونية ضرورة التعاون مع الدول الأوروبية الكبرى للحصول على فلسطين، باعتبار أن الدولة اليهودية المزعومة إنشاؤها بمثابة قاعدة للمصالح

الأوروبية في الدولة العثمانية [٨٢] .

وانطلاقًا من هذا الترابط بين جمعية الاتحاد والترقي والدوائر الماسونية والصهيونية، تتضح الملامح الأولى لسياساتهم التي اتخذوها بعد تسلمهم زمام الحكم، ولعل أبرز هذه السياسات التي شكلت تحولًا خطيرًا في مسار الدولة العثمانية هي سياسة التتريك .

* * *

٣ - ﴿ سياسة التتريك ﴾

هي حركة، أصحابها يعتبرون الأتراك عنصرًا نقيًا له سماته السلالية والتاريخية ، فهي تنادي بسيادة جنس الترك وباقي الأجناس وتقول بتميزه، بل شرع هؤلاء يهاجرون باحتكار الأجناس الأخرى ويطمحون لسياسة تتريك القوميات غير التركية [٨٣] . وهي حركة غرضها هدم المدنية الإسلامية وإحياء العصبية التركية، على أنقاضها والجمع

بين العناصر التركية والشعوب المنتسبة إليها، والقانون عليها هو قانونهم المشهورون بعدائهم للإسلام وكثيرًا ما يجهرون بأقوالهم وكتاباتهم بذلك الكره، بحجة أن الإسلام يسعى لقتل العصبية القومية ويحول دون نشوء المدنية التركية، لذلك فهم يسعون لجعل الجنسية التركية مستقلة عن الإسلام كل الاستقلال (٨٤) .

وقد طبقت هذه السياسة بصورة جلية منذ أن سيطر أعضاء جمعية الاتحاد والترقي المتعصبون للعنصرية التركية على شؤون الحكم في الدولة العثمانية، إلى غاية انتهاء الحرب العالمية الأولى، وهذا ما أشار إليه الأمير مصطفى الشهابي في كتابه القومية العربية فقال: "وكان أتراك جمعية الاتحاد والترقي المتعصبون للعنصرية التركية هم المسيطرون على شؤون معظم الحكومات في الدولة، منذ إعلان الدستور سنة ١٩٠٨ م ، حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ م ، وقد قاموا أثناء توليهم الحكم بأعمال استفزازية خرقاء (٨٥) ". وهذه

السياسة كما ذكر محمد فاروق الخالدي في كتابه المؤامرة الكبرى على بلاد الشام بأنها سياسة طائشة طبقها الاتحاديون في الدولة العثمانية تهدف إلى طبع الدولة كلها بطابع تركي محض" (٨٦) .

كما قال فيها المؤرخ الأمريكي لوثروب: "اندفع رجال تركيا الفتاة اندفاعًا كانوا فيه بغداء عن التروي والحكمة يسوقهم التعصب الجنسي الأعمى محاولين تتريك المملكة قاطبة في فترة من الزمن يسيرة " (٨٧) .

وفي أكتوبر ١٩٠٨ م ، أي بعد إعلان الدستور كتب الكاتب التركي حسين جاهد في جريدته طنين يقول: "إن الأمة التركية كانت وستظل هي الأمة الحاكمة في السلطنة العثمانية وإن الترك يتمتعون بحقوق وامتيازات سياسية بصفتهم فاتحين، فلا مجال إذن للاعتراف بحقوق مساوية للعناصر العرقية الأخرى وأن الدستور العثماني لا يمكن أن يكون في شكله النهائي إلا دستورًا تركيًا" (٨٨) .

٤ - ﴿ سياسة التتريك في المشرق العربي بعد الحرب العالمية الأولى ﴾

لما قسمت الإمبراطورية العثمانية إلى ست مناطق عسكرية أضيفت كل منطقة إلى الجيش المرابط بها، فكان الجيش الرابع مقره دمشق، وكانت دائرة نفوذه العسكرية والإدارية تشمل ولاية حلب والشام وبيروت وجبل لبنان و القدس والحجاز، وأسندت قيادة الجيش في أول الأمر إلى الفريق "زكي باشا الحلبي" والذي تمت تنحيته للحرب العالمية الأولى في عهده، لكنه لبعده أثناء الحرب وعين مكانه جمال باشا . وعهد إلى هذا الاتحادي إدارة الولايات العربية مع احتفاظه بمقام وزير الحربية؛ يعني أن ولاة حلب والشام والحجاز وغيرهم من ولاة الإيالات العربية يخضعون لأوامره ويتبعون تعليماته [٨٩] .

أخذ جمال باشا يقرب إليه قادة الإصلاح، أمثال عبد الكريم الخليل وعبد الرحمان شهبندر وعبد الغني العريسي [٩٠]، وغيرهم، ودعا في سنة ١٩١٥ م ، إلى حفلة أدبية كرم فيها الشيخ عبد العزيز شاويش

وحضرها شبان العرب ورجالهم ، وخطب هناك قائلا: "يجب عليكم يا أبناء العرب أن تحيوا مكارم أخلاق العرب ومجدهم منذ شروق أنوار الديانة الأحمدية، أحيوا شهامة العرب وآدابهم حتى التي وجدت قبل الإسلام، عضوا على عروبتكم بالنواجذ ودافعوا عنها بكل قواكم، اعملوا على ترقية العرب والعروبة، جددوا مدينتكم... " [٩١] .

والغريب في الأمر هنا أن هذا التصريح صدر من أحد الزعماء الاتحاديين المعروفين بالتعصب للقومية التركية ومن المستميتين في الدفاع عنها والقيام بها ومن الداعين لإحياء أمجاد الطورانية، فهل كان هذا التصريح حقا نابع عن خالص نية؟ أم لم يكن الاتحاديون قبل هذا الزمن ينادون بعكس هذا، واتبعوا كل الوسائل والتدابير من أجل محو لغة العرب وتغليب لغة الترك؟

لعلنا نجد تفسيرا لهذا فيما أورده محمد الخير عبد القادر في كتابه نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية حين قال: " وكانت سياسة التردد

هذه ذريعة للفتك بتلك الصفوة من قادة العرب، الذين أخلصوا للدولة العثمانية ولم يتخلوا عنها في أحلك الظروف " [٩٢] . كما نستشفه من قول محمد رشيد رضا بأن انتهاج جمال باشا والاتحاديين لهذه السياسة راجع لضعف فيهم حيث أظهروا عكس ما أبطنوا فيقول: "ولكنهم لضعفهم أسروا الكيد وأظهروا الميل إلى الإصلاح والجنوح إلى الصلح" [٩٣] .

وقد نجد له تفسيرا أيضا فيما أورده محمد كرد علي في كتابه خطط الشام الجزء الثالث بأن جمال باشا وجماعته من الاتحاديين كانوا يفكرون في الانتقام من العرب المخالفين لهم، وإنزال العقوبة بمن رفعوا أصواتهم للمطالبة بحقوق أمتهم، الأمر الذي اعتبره الاتحاديون خيانة للدولة، وما أن دخلت الدولة أتون الحرب حتى تراءى للاتحاديين بأن الفرصة المواتية للقضاء على كل مخالف أو مطالب بالإصلاح قد آنت، ومما زاد موقفهم تعزيزا تحالفهم مع ألمانيا، التي كانت تقرضهم الأموال بالملايين، واكتمل هذا المشهد وأصبح أكثر ملائمة مع تولي جمال باشا زمام

الأمور في الشام [٩٤] .

وجمال باشا كما وصف "هو لين لين الأفعى وقاتل كالسّم الزعاف وطاغية جبّار ومخادع كبير، تقرّب من الطبيعة العربية وهو يحفر لها القبور ويعد لها المشانق ! " [٩٥] ، ففي خداعه ومكره قام بعدة عمليات تؤكد كرهه للعرب، منها مساعدته للصهاينة حينما اتصلوا به واقترحوا عليه إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وأن يتوسط لهم مع الأستانة بأن تزيح لهم العراقيل التي تمنع الهجرة اليهودية، وأن تكون المستعمرات اليهودية مستقلة من الوجهة الإدارية والمالية وغيرها، مقابل أن يقدموا قرضاً للدولة العثمانية، ويساعدونه في مشاريعها السياسية، رغم أن الأستانة رفضت هذا الطلب إلا أن جمال باشا استمر يفاوض أكثر من شهر دون فائدة، إلى أن أصبح صديقاً للصهاينة وصار يدافع عن اليهود [٩٦] .

كان جمال باشا او ما يعرف بجمال " السفاح " ، أحد قادة جمعية الاتحاد والترقي، رمزًا صارخًا لسياسة التتريك القمعية في المشرق العربي. وقبل تنفيذ أحكام الإعدام في "الجولة الثانية" كما وُصفت، شرع بإصدار سلسلة من الأوامر التي طالت خيرة المثقفين والمناضلين العرب. ففي شهري آذار ونيسان من عام ١٩١٦ ، أمر باعتقال ونفي وإعدام عدد من الشخصيات البارزة في الحركة الوطنية العربية، بحجة التعاون مع القوى الأجنبية والتآمر على الدولة العثمانية.

شملت الحملة أسرًا من بلاد الشام الكبرى سوريا ولبنان وفلسطين، وقد نُفي بعضهم إلى الأناضول رجالًا ونساءً وأطفالًا، وصودرت أموالهم وممتلكاتهم. أما الآخرون، فاقتيدوا إلى المشانق في بيروت ودمشق، فيما عُرف لاحقًا بـ"شهداء السادس من أيار"، وتهدف تلك السياسة إلى ترهيب الشعوب العربية وقمع أي نزعة استقلالية.

في بيروت، نصب جمال باشا مشنقة في ساحة البرج، وأعدم فيها كوكبة

من الوطنيين، أبرزهم:

الشهيد عبد الحميد الزهراوي

الشهيد شكري العسلي

الشهيد رفيق رزق سلّوم

الشهيد عمر حمد

الشهيد عبد الكريم الخليل

الشهيد سليمان الحلبي

أما في دمشق، فقد أعدم في ساحة المرجة:

الشهيد شفيق مؤيد العظم

الشهيد فخري البارودي

الشهيد يوسف العظمة

الشهيد عبد الوهاب الإنكليزي

الشهيد محمد المحمصاني

الشهيد عارف الشهابي

وغيرهم من الشخصيات التي لعبت دورًا في المطالبة بالإصلاحات، ورفض التتريك، ودعم القومية العربية.

كان الهدف من هذه السياسة – كما يشير المؤرخون – ترسيخ الهيمنة العثمانية التركية عبر تكميم الأفواه، وإرهاب كل من يفكر في المطالبة بالاستقلال أو حقوق العرب القومية. ولم تقتصر الإجراءات على الإعدام، بل شملت النفي، والسجن، والإرغام على الخدمة العسكرية في

الجبهات النائية، ونشر اللغة التركية في المدارس والمحاكم والمؤسسات

الرسمية.

أليس هذا تأكيدًا صارخًا على محاولة تتريك العرب بالقوة؟ فكل ما اتُّخذ من وسائل عنف وقمع بحقهم لم يكن إلا انعكاسًا للسياسة التي تبنتها جمعية الاتحاد والترقي، والتي رأت في العرب مجرد شعوب "ناقصة الولاء"، لا بد من إخضاعها وتذويب هويتها في الهوية العثمانية الطورانية.

وهكذا، فإن سياسة التتريك لم تكن مجرد سياسة ثقافية أو إدارية، بل كانت مشروعًا استعماريًا داخليًا، استُخدمت فيه المشانق والسجون، تمامًا كما استُخدمت فيه المدارس والإعلام والمؤسسات، في محاولة لطمس الشخصية العربية وإلغاء لغتها وتاريخها. وأخيراً ، تعتبر سياسة التتريك من أهم الأسباب التي أدت الى اندلاع الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين وأولاده .

٥ - ﴿ مراسلات الشريف حسين مكماهون ﴾

بعد الانقلاب الدستوري في الإمبراطورية العثمانية لعام ١٩٠٨ م ، عُين الشريفُ الحسين أميراً على مكة، فأخذ يثبتْ موقعه في الإمارة وسيادته على القبائل الحجازية. ويسعى إلى إبراز المركز المناسب للديار المقدسة، واستقلال الحجاز والبلدان العربية، وبدأ يعترض على تشدد الاتحاديين في نظام الحكم المركزي أي جمعية الاتحاد والترقي، على التجنيد الإجباري، واعتزام الاتحاديون على تأديب الحسين بتعيين والٍ للحجاز معروف بالغلطة والنزق. ولكن الحسين قاومه بعناد حتى اضطرت السلطة للإيعاز إلى الوالي بمصالحة الشريف حسين في ١٩١٤ م (٩٧) .

وحين نشبت الحرب العالمية الأولى كان أمام العرب طريقان: إما الوقوف إلى جانب الدولة العثمانية، وإما الثورة عليها وتحقيق استقلالهم عنها (٩٨) . وقد اتخذ الحسين قراراً يوفق بين الرأيين فأرسل مبعوثين

إلى بلاد الشام وإلى كبار الزعماء العرب؛ ليطلعوا على حقيقة الجو العام ومدى الاستعداد للثورة. كما قرر الإبقاء على صلته بالسامي البريطاني في القاهرة. وكان ابنه عبد الله ، قد فاتح المندوب البريطاني بشأن توفر العلاقات بين والده والأتراك (٩٩) .

وقد رأت بريطانيا أن الثورة العربية على الدولة العثمانية، عامل حاسم في دحر الأتراك إبان الحرب حتى تنتصر وتأخذ مكان الدولة العثمانية في السيطرة على خيرات العراب ، وأيضاً رأت في الشريف الحسين الزعيم المأمول للثورة العربية؛ نظراً لنسبه الهاشمي، ومركزه كشريف مكة المكرمة، و لنفوذه بين القبائل في الحجاز، ولموقع بلاده البعيد عن مراكز تجمع الجيوش وطرق المواصلات (١٠٠) .

وفيما كان الحسين يعمل على توطيد مركزه في الحجاز، طلبت الدولة العثمانية منهُ تأييدها في دعوتها إلى الجهاد المقدس؛ حتى يضفي عليها طابعها الروحي في تشرين الثاني سنة ١٩١٤ م ، وإرسال المتطوعين

العرب للمشاركة في هذا الجهاد ضد دول الحلفاء.

وتحرج موقف الحسين وساءت أحواله حين حاصرت أساطيل الحلفاء سواحل الحجاز، فانقطع بذلك تموين الديار المقدسة، وأوشكت المجاعة أن تحلَ فيها. وتحقق الحسين من أن بريطانيا تُمسك بزمام الطريق البحري، وأن ثورة عربية بزعامته، يمكن أن تُبطل أو تُضعف دعوة الجهاد التي أعلنها السلطان العثماني بوصفه خليفة المسلمين ، إلا أن الشريف في بادئ الأمر قد ماطل بإعلان الجهاد المقدس، لكن الأخبار وصلت الدولة العثمانية مما أدى إلى قطع العلاقة بين الشريف والدولة العثمانية، مما دفع الأخير إلى محاولة اغتيال الشريف الحسين بن علي [١٠١].

وباشرحسين اتصالاته مع الإنكليز برسالة بعث بها إلى المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطانية بالقاهرة رونالد ستورز [١٠٢] وقعها عنهُ وَلَدّهُ عبد الله، وفيها عبَّرَ الحسين عن الرغبة في التفاهم مع بريطانيا،

وقَصَرَ إشاراتهُ على الحجاز، وتجنب أن يربط البلدان العربية الأخرى بشيء. ولكنه لمَّحَ إلى أنهُ قد يستطيع قيادة أتباعه القريبين منهُ إلى الثورة إذا ما اضطرهُ الأتراك إلى ذلك، بشرط أن تتعهد إنكلترا بمساعدته. وورد إلى عبدالله بن الحسين جواب كتشنر وزير الحربية البريطانية من لندن، وفيه وعد بريطانيا القاطع للحسين بضمان بقائه شريفاً لمكة، وحمايته من كل اعتداء خارجي، ومساعدة العرب في مساعيهم لنيل حريتهم بشرط مؤازرة إنكلترا على تركيا في الحرب العالمية الأولى [١٠٣] وتمهل الحسين في الجواب حتى يجمع قواته وينتهز الفرصة المواتية للثورة ويستشير الزعماء العرب الآخرين، وبعد ثمانية أشهر، أي في تموز ألف وتسعُمائة وخمسة عشر، وعلى أساس ميثاق دمشق الذي اتفق عليه أقطاب جمعيتي العربية الفتاة والعهد [١٠٤] ، ثم جاءت بوادر المفاوضات التي قامت بين الحسين والإنكليز، بمراسلات متبادلة بينه وبين مكماهون المندوب السامي البريطاني في القاهرة عرفت بمراسلات حسين – مكماهون.

لكن يجول في ذهن الكثير منا تساؤلات عن متن هذه المراسلات، وماهية تلك الرسائل التي اعتبرها المؤرخون محط جدل لكثير من الساسة، إذ لا تخلو كلمة إلا وتحمل معها الكثير من المعاني ؟ وهل كانت تلك الرسائل في الحقيقة ترسم طريقاً لإستقلال العرب بالورد، أم أنها وضعت الشوك بين فروع الورد لتعرقل حلم الاستقلال العربي.؟ وما هو موقف الشريف الحسين من تلك الرسائل التي اعتبرها التاريخ من أهم الرسائل في العصر الحديث ؟ حتى نجيب عن هذه التساؤلات لا بد من الإشارة إلى مضمون تلك المذكرات.

حملت المذكرة الأولى التي بعثها الشريف الحسين في ثناياها إلى السير آرثر مكماهون مقترحات محددة بشأن حدود الدولة العربية التي تطالب باستقلالها، في ١٤ تموز ١٩١٥ [١٠٥].

أرسل الشريف الحسين إلى مكماهون مذكرة أعرب فيه على ما يلي :" لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر، سلمه الله .

أقدم لجنابكم العزيز أحسن تحياتي الودية واحتراماتي، وأرجو أن تعملوا كل ما في وسعكم لتنفيذ المذكرة المرسلة إليكم طيه، المتضمنة الشروط المقترحة المتعلقة بالقضية العربية وأود بهذه المناسبة أن أصرح لحضراتكم و حكومتكم أنه ليس هناك حاجة لأن تشغلوا أفكاركم بآراء الشعب هنا، لأنه بأجمعه ميال إلى حكومتكم بحكم المصالح المشتركة." (١٠٦)

وأهم ما اشتملت عليه هذه المذكرة بشأن حدود البلاد العربية :

"يرى الشعب العربي أن يسأل الحكومة البريطانية إذا كانت ترى من المناسب أن تصادق بواسطة مندوبيها أو ممثليها، على الاقتراحات الأساسية الآتية:

أولاً :" أن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية الواقعة ضمن الحدود التي تبدأ شمالاً: بخط مرسين- أظنة، ممتدًا على أورفة وماردين وجزيرة

ابن عمر فحدود فارس، وشرقًا: حدود إيران حتى الخليج، وجنوبًا: المحيط الهندي (ما عدا عدن)، وغربًا: البحر الأحمر والأبيض حتى مرسين على أن توافق إنجلترا أيضاً على إعلان خليفة عربي على المسلمين".

ثانياً: "تعترف حكومة الشريف العربية بأفضلية إنجلترا في كل مشروع اقتصادي في البلاد العربية، إذا كانت شروط تلك المشاريع متساوية".

ثالثا: "تتعاون الحكومتان الإنجليزية والعربية في مجابهة كل قوة تهاجم أحد الفريقين وذلك؛ حفظاً لاستقلال البلاد العربية، وتأمينا لأفضلية إنجلترا الاقتصادية فيها.. على أن يكون هذا التعاون في كل شيء في القوة العسكرية، والبحرية، والجوية" .

رابعا: "إذا تعدى أحد الفريقين على بلد ما ونشب بينه وبينها عراك وقتال، فعلى الفريق الآخر أن يلزم الحياد، على أن هذا الفريق المعتدى

إذا رغب في اشتراك الفريق الآخر معه ففي وسع الفريقين أن يجتمعا معا وأن يتفقا على الشروط".

خامسا: "مدة الاتفاق في المادتين الثالثة والرابعة من هذه المعاهدة خمس عشرة سنة. وإذا شاء أحد الفريقين تجديدها، عليه أن يُطلع الفريق الآخر على رغبته قبل انتهاء مدة الاتفاقية بعام. وفوقَ هذا فإننا نحن عائلة الشريف نعتبر أنفسنا، إذ لم يصل الجواب، أحرارا في القول والعمل من كل التصريحات، والوعود السابقة التي قدمناها بواسطة علي افندي.

جاء رد السير هنري مكماهون في المذكرة الاولى على الحسين في ١٩١٥ م في ما يلي: "من السير هنري مكماهون إلى الشريف حسين إلى السيد الحسيب النسيب سلالة الأشراف وتاج الفخار وفرع الشجرة المحمدية والدوحة القرشية الأحمدية صاحب المقام الرفيع والمكانة السامية السيد ابن السيد والشريف بن الشريف السيد الجليل المبجل الشريف حسين سيد الجميع أمير مكة المكرمة قبلة العالمين ومحط

رجال المؤمنين الطائعين عمت بركته الناس أجمعين."

"بعد رفع رسوم وافر التحيات العاطرة والتسليمات القلبية الخالصة من كل شائبة نعرض أن لنا الشرف بتقديم واجب الشكر لإظهاركم عاطفة الإخلاص، وشرف الشعور والإحساسات نحو الإنجليز. وقد يسرنا علاوة على ذلك أن نعلم أن سيادتكم ورجالكم على رأي واحد وأن مصالح العرب هي نفس مصالح الإنجليز والعكس بالعكس. ولهذه النسبة فنحن نؤكد لكم أقوال فخامة اللورد كتشنر، التي وصلت إلى سيادتكم عن يد علي أفندي وهي التي كان موضحا بها رغبتنا في استقلال بلاد العرب وسكانها، مع استصوابنا للخلافة العربية عند إعلانها". وإنا نصرح هنا مرة أخرى أن جلالة ملك بريطانيا العظمى يرحب باسترداد الخلافة إلى يد عربي صميم من فروع تلك الدوحة النبوية المباركة.

وأما من خصوص مسألة الحدود والتخوم، فالمفاوضة فيها تظهر أنها سابقة لأوانها، وتصرف الأوقات سدى في مثل هذه التفاصيل في حالة أن

الحرب دائرة رحاها ولأن الأتراك أيضا لا يزالون محتلين لأغلب تلك الجهات احتلالا فعليا وعلى الأخص ما علمناه وهو مما يدهش ويحزن أن فريقا من العرب القاطنين في تلك الجهات نفسها، قد غفل وأهمل هذه الفرصة الثمينة التي ليس أعظم منها.

مع ذلك فأنا على كامل الاستعداد لأن نرسل إلى ساحة دولة السيد الجليل وللبلاد العربية المقدسة والعرب الكرام من الحبوب والصدقات المقررة من البلاد المصرية وستصل بمجرد إشارة من سيادتكم وفي المكان الذي تعينونه. وقد عملنا الترتيبات اللازمة لمساعدة رسولكم في جميع سفراته إلينا ونحن على الدوام معكم قلبا وقالبا مستنشقين رائحة مودتكم الزكية ومستوثقين بعرى محبتكم الخاصة سائلين الله سبحانه وتعالى دوام حسن العلائق بيننا. " (١٠٧)

ثم ختمت المذكرة في عبارات السلام والمحبة.

ثم جاءت المذكرة الثانية من الشريف الحسين إلى السير مكماهون في ايلول عام ١٩١٥ م

بدأت هذه المذكرة بالبسملة ثم جاء بها:" لصاحب السعادة والرفعة نائب جلالة الملك بمصر، سلمه الله بمزيد من السرور والغبطة تلقيت كتابكم المؤرخ في التاسع عشر من شوال وطالعته بكل احترام واعتبار رغم شعوري بغموضه وبرودته وتردده فيما يتعلق بنقطتنا الأساسية أعني نقطة الحدود، وأرى من الضروري أن أؤكد لسعادتكم إخلاصنا نحو بريطانيا العظمى واعتقادنا بضرورة تفضيلها على الجميع في كل الشؤون وفي أي شكل وفي أية ظروف، ويجب أن أؤكد لكم أيضا أن مصالح أتباع ديانتنا كلها تتطلب الحدود التي ذكرتها لكم.

ويعذرني فخامة المندوب إذا قلت بصراحة أن "البرودة" و"التردد" الذين ضمنهما كتابي فيما يتعلق بالحدود، وقولكم: أن البحث في هذه الشؤون إنما هو إضاعة للوقت، ويعذرني فخامته إذا قلت أن هذا كله يدل على

عدم الرضا، أو على النفور أو على شيء من هذا القبيل. وفوق هذا فإن العرب لم يطلبوا في تلك الحدود التي يقطنها شعب أجنبي بل هي عبارة عن كلمات وألقاب يطلقونها عليها. أما الخلافة فإن الله يرضى عنها، ويسر الناس بها.

وأنا على ثقة يا صاحب الفخامة أنكم لا تشكون قط بأني لست أنا شخصيا الذي يطلب تلك الحدود التي يقطنها عرب مثلنا، بل هي مقترحات شعب بأسره، يعتقد بأنها ضرورية لتأمين حياته الاقتصادية. أو أليس هذا صحيحاً يا فخامة الوزير.؟

وأنا حتى الساعة لا أزال أنفذ ما تأمر به الديانة الإسلامية في كل عمل أقوم به وأراه مفيدا وصالحا لبقية المملكة وأني سأستمر في هذا إلى أن يأمر الله في غير ذلك .

وأود هنا يا صاحب الفخامة، أن أؤكد لكم بصراحة أن كل الشعب، ومن

جملته هؤلاء الذين تقولون أنهم يعملون لصالح تركيا وألمانيا، ينتظر بفارغ الصبر نتائج هذه المفاوضات المتوقفة على موافـقـتكم أو رفضكم قضية الحدود، وقضية المحافظة على ديانتهم وحمايتهم من كل أذى أو خطر .

وفوق هذا فإن الشعب البيروتي لا يرضى قط بهذا الابتعاد والانزواء وقد يضطرون لاتخاذ تدابير جديدة قد يكون من شأنها خلق متاعب جديدة، تفوق في صعوبتها المتاعب الحاضرة.

وعلى هذا لا يمكن السماح لفرنسا بالاستيلاء على قطعة صغيرة من تلك المنطقة. وأنا أصرح بهذا رغم أني أعتقد وأؤمن بالتعهدات التي قطعتموها في كتابكم.

واعتقد أن قولكم بأن بريطانيا لا تحثكم ولا تدفعكم للإسراع في حركتكم مخافة أن يؤدي هذا التسرع إلى تصديع نجاحكم." [١٠٨] .

ثم ختمت المذكرة بعبارات الود.

جاءت مذكرة مكماهون الثانية من السير هنري مكماهون إلى الشريف تشرين الاول ١٩١٥ م ، أن أهم ما اشتملت عليها هذه المذكرة بعد ذكر البسملة ثم عبارات الترحيب وبعدها نص المذكرة ما يلي:

"أني متأسف أنكم استنتجتم من عبارة كتابي السابق أني قابلت مسألة الحدود والتخوم بالتردد والفتور، فإن ذلك لم يكن القصد من كتابي قط، ولكني رأيت حينئذ أن الفرصة لم تكن قد حانت بعد للبحث في ذلك الموضوع بصورة نهائية. ومع ذلك فقد أدركت من كتابكم الأخير أنكم تعتبرون هذه المسألة من المسائل الهامة الحيوية المستعجلة . فلهذا فإني قد أسرعت في إبلاغ حكومة بريطانيا العظمى مضمون كتابكم وإني بكمال السرور أبلغكم بالنيابة عنها التصريحات الآتية التي لا أشك في أنكم تنزلونها منزلة الرضا والقبول. إن ولايتي مرسين واسكندرونة وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة

الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لا يمكن أن يقال أنها عربية محضة. وعليهْ يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة. مع هذا التعديل وبدون تعرض للمعاهدات المعقودة بيننا وبين بعض رؤساء العرب نحن نقبل تلك الحدود.

وأما في خصوص الأقاليم التي تضمنتها تلك الحدود، حيث بريطانيا العظمى مطلقة التصرف دون أن تمس مصالح حليفتها فرنسا فإني مفوض من قِبلْ حكومة بريطانيا العظمى أن أقدم المواثيق الآتية وأجيب على كتابكم بما يأتي:

أولا: وجوب مراعاة التعديلات المذكورة أعلاه فبريطانيا العظمى مستعدة بأن تعترف باستقلال العرب في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي يطلبها دولة شريف مكة .

ثانيا : أن بريطانيا العظمى تضمن الأماكن المقدسة من كل اعتداء

خارجي وتعترف بوجوب منع التعدي عليها.

ثالثاً: تمد بريطانيا العظمى العرب بنصائحها وتساعدهم على إيجاد هيئات حاكمة ملائمة لتلك الأقاليم المختلفة عندما تسمح الظروف لذلك.

رابعاً: طلب العرب نصائح وإرشادات بريطانيا العظمى وحدها وأن المستشارين والموظفين الأوروبيين اللازمين لتشكيل هيئة إدارية قويمة يكونون من الإنجليز.

خامساً: أما من خصوص ولايتي بغداد والبصرة فإن العرب تعترف أن مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير إدارية مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي.

وأني متيقن أن هذا التصريح يؤكد لدولتكم بدون أقل ارتياب ميل بريطانيا العظمى نحو رغائب أصحابها العرب وتنتهي بعقد محالفة دائمة ثابتة معهم ويكون من نتائجها المستعجلة طرد الأتراك من بلاد العرب

وتحرير الشعوب العربية من نير الأتراك الذي أثقل كاهلهم السنين الطوال. ولقد اقتصرت في كتابي هذا، على المسائل الحيوية ذات الأهمية الكبرى، وإن كان هناك مسائل في خطابكم لم تذكر هنا، فسنعود إلى البحث فيها في وقت مناسب في المستقبل." (١٠٩)

ثم ختمت الرسالة بعبارة الود والإجلال

ثم جاء الرد في المذكرة الثالثة من الشريف حسين إلى السير هنري مكماهون في تشرين الثاني ١٩١٥ م ، أن أهم ما اشتملت عليها هذه المذكرة بعد ذكر البسملة ثم عبارات الترحيب ما يلي.

أولاً ـ "تسهيلا للوفاق وخدمة للإسلامية فرارا مما يكلفها المشاق والأحن ولما لحكومة بريطانيا العظمى من الصفات والمزايا الممتازة لدينا، نترك الإلحاح في إدخال ولايات مرسين واظنة في أقسام المملكة العربية، وأما ولايتي حلب وبيروت وسواحلها، فهي ولايات عربية محضة ولا فرق

بين العربي المسيحي والمسلم فإنهما ابنا جد واحد، ولتقوم فيهم منا معاشر المسلمين ما سلكه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من أحكام الدين الإسلامي ومن تَبّعهُ من الخلفاء أن يعاملوا المسيحيين كمعاملاتهم لأنفسهم بقوله "لهم مالنا وعليهم ما علينا علاوة على امتيازاتهم المذهبية وبما تراه المصلحة العامة وتحكم به .

ثانيا جاء بها تأكيد الشريف على أن ولاية العراق عربية خالصة إذ قال:" حيث أن الولايات العراقية هي من أجزاء المملكة العربية المحضة، بل هي مقر حكومتها على عهد علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ثم على عهد عموم الخلفاء من بعده، وبها قامت مدنية العرب وأول ما اختطوه من المدن والأمصار.

ثالثا ـ استوضح الشريف عما إذا كان يُحتمل أن تعقد بريطانيا العظمى الصلح مع الأعداء دون علم العرب، مطالباً أن لا تتخلى بريطانيا عن العرب بحكم التحالف.

رابعا - موافقة الشريف على استعانة العرب بالمستشارين الانجليز، شريطة عدم التدخل بالشؤون الداخلية.

خامساً - في حال موافقة الحكومة البريطانية على تلك البنود فان العرب سيضعون ثقلهم مع بريطانيا العظمى. "

ثم جاء الرد في مذكرة السير مكماهون الثالثة: من السير هنري مكماهون إلى الشريف حسين.بتاريخ كانون الاول ١٩١٥ م ، كذلك الأمر تبدأ المذكرة بالبسملة، ثم بعبارات الترحيب بالشريف، ثم المفاوضات ونوجز رد مكماهون بقوله: "سرني ما رأيت من قبولكم إخراج ولايتي مرسين وأظنة من حدود البلاد العربية.

"أما بشأن ولايتي حلب وبيروت، فحكومة بريطانيا العظمى قد فهمت كل ما ذكرتم بشأنهما، ودونت ذلك عندها بعناية تامة. ولكن لما كانت مصالح حليفتها فرنسا داخلة فيهما فالمسألة تحتاج إلى نظر دقيق،

وسنخابركم بهذا الشأن مرة أخرى في الوقت المناسب "

ثم اختتمت الرسالة بقوله "وأقدم في الختام عاطر التحيات القلبية وخالص التسليمات الودية مع مراسم الإجلال والتعظيم المشمولين بروابط الألفة والمحبة الصرفة لمقام دولتكم السامي ولأفراد أسرتكم المكرمة."

فجاء الرد في مذكرة الشريف الرابعة: من الشريف الحسين إلى السير هنري مكماهون بتاريخ: كانون الثاني ١٩١٦ م ، بدا الشريف رسالته بالبسملة ثم بالمديح بالسير هنري مكماهون إذ أعرب برسالته ما يلي " معالي الوزير الخطير الشهم الهمام بأنامل الإبجال والتوقير، تلقينا رقيميكم في التاسع من صفر" ثم أشار إلى أن هذه القرارات، هي قرارات ورغائب أقوام وأنا لسنا إلاّ مبلغين أو منفذين لها بصفتنا التي ألزمونا بها إذ هذا عندي من أهم ما يجب وقوف شهامة الجناب عليه وعلمه به.

ثم كتب الشريف حسين إلى مكماهون بخصوص المفاوضات يقول: "أما الجهات الشمالية وساحلها فيما كان في الإمكان من تعديل، أتينا به في رقيمنا السابق هذا، وما ذاك إلا للحرص على الأمنيات المرغوب حصولها بمشيئة الله تبارك وتعالى، وهذا الحس والرغبة هما التي الزمتنا بملاحظة اجتذاب ما، ربما أنه يمس حلف بريطانيا العظمى لفرنسا واتفاقهما إبان هذه الحروب والنوازل. إلا أننا مع هذا نرى من الفرائض التي ينبغي لشهامة الوزير صاحب الرياسة أن يتيقنها بأنه عند أول فرصة تضع فيها أوزار هذه الحروب، سنطالبكم بما نغض الطرف عنه اليوم لفرنسا، في بيروت وسواحلها".

وختم الشريف مذكرته بقوله: "واكتفي بهذا القدر عن أشغال شهامتكم بتقديم وافر احتراماتي وجزيل توقيراتي لمقام المقر الموقر."

ثم جاءت المذكرة الرابعة من السير مكماهون إلى الشريف حسين بتاريخ الرابع والعشرين من كانون الثاني١٩١٦ م

جائت هذه المذكرة على النحو الآتي "تلقينا بسرور كتابكم المؤرخ في ٢٥ صفر بواسطة رسولكم الموثوق به، وأطلعنا منه على رسالتكم الشفوية. وأننا لنقدر حق التقدير، الدوافع التي تقودكم في هذه القضية الهامة، ونعرف جيداً أنكم تعملون في صالح العرب، وأنكم لا ترمون إلى شئ في عملكم غير صالحهم وحريتهم وقد عنيت عناية خاصة بملاحظاتكم بشأن ولاية بغداد، وسنبحث هذا الموضوع باهتمام وعناية زائدين، عندما تتم هزيمة الأعداء ونصل إلى التسويات السلمية.

أما في ما يتعلق بالجهات الشمالية فقد كتبّتُ ملاحظة من رغبتكم في تجنب كل ما من شانه الإساءة إلى تحالف إنجلترا وفرنسا وسررت جدا بإبداء مثل هذه الرغبة.

وأظنكم تعرفون جيدا أننا مقررون قرارا نهائيا بالا نسمح بأي تدخل ـ مهما قل شأنه في اتفاقنا المشترك، في إيصال هذه الحرب إلى الفوز، ثم متى انتهت الحرب فإن صداقة فرنسا وإنجلترا ستقوى وتشتد، وهما

اللتان بذلتا الدماء الإنجليزية والفرنسية جنبا في سبيل الدفاع عن الحقوق والحريات. "

وختم السير مكماهون رسالته بقوله :" والآن وقد قررت البلاد العربية أن تشترك معنا في الدفاع عن الحقوق وتعمل معنا في سبيل القضية الهامة فإننا لنرجو الله أن تكون نتيجة هذه الجهود المشتركة وهذا التعاون الوطيد، صداقة دائمة، تعود على الجميع بالسرور والغبطة".

المذكرة الخامسة من الشريف حسين إلى السير هنري مكماهون بتاريخ شباط ١٩١٦ م

جاءت هذه المذكرة لتضع النقاط على الحروف والتمهيد لإعلان الثورة المسلحة، وخاصة بعد أن ابلغ الشريف السير مكماهون، بأنا بعثنا بأحد أنجالنا إلى الشام ليرأس ما يقتضي عمله هناك لجمع الجند، ونجله الأكبر إلى المدينة المنورة؛ من اجل ترتيب الأوضاع والاستيلاء على خط سكة

الحديد، ثم بين في متن هذه الرسالة ضرورة توفر الإمدادات العسكرية من عداد وعتاد ثم المواد والتموينية القمح والشعير، والأرز، القهوة،على أن يكون مراكز هذه الإمدادات في بور سودان، ثم يتم الحصول على هذه الإمدادات بشكل رسمي ومتعارف عليه بين الطرفين.

ثم خُتمت الرسالة بعبارات الود والاحترام.

ثم جاءت المذكرة الخامسة والأخيرة من السير هنري مكماهون إلى الشريف حسين آذار من عام ١٩١٦ م ، كذلك الأمر بدأت المذكرة بالبسملة ثم بعبارات الود والتي تحمل في ثناياها الغدر والمكر لما سيناله العرب في المستقبل ثم أشار مكماهون في المذكرة حيث قال: "وقد يسرني أن أخبركم بأن حكومة جلالة الملك صادقت على جميع مطالبكم،

وأن كل شيء رغبتم الإسراع فيه وفي إرساله فهو مرسل مع رسولكم حامل هذا. وكانت هذه الرسالة، وهي العاشرة، آخر المراسلات بين

الشريف الحسين بن علي والسير آرثر مكماهون". (١١٠)

* * *

﴿ فيصل والثورة العربية الكبرى ﴾ (١١١)

فيصل بن الحسين كان أحد الشخصيات البارزة في تاريخ العرب الحديث، وشارك بشكل فعال في الثورة العربية الكبرى التي انطلقت عام ١٩١٦ ضد الحكم العثماني. بعد الثورة، تحول من قائد عسكري إلى شخصية سياسية محورية في المرحلة التي تلت الحرب العالمية الأولى. كان له دور في بناء الدولة العربية الحديثة، خاصة بعد أن تم تعيينه ملكاً على العراق.

لكن في تلك الفترة، واجه فيصل تحديات كبيرة، من بينها الصراعات الداخلية في العراق وتحديات العلاقة مع القوى الاستعمارية، مثل بريطانيا وفرنسا، التي كانت تسعى لتحقيق مصالحها في المنطقة.

سيتناول هذا الفصل من الكتاب دوره في الثورة العربية الكبرى، ثم مسيرته السياسية بعد الحرب، بما في ذلك التحديات التي واجهها والقرارات التي اتخذها والتي أثرت في مستقبل العراق والمنطقة بشكل عام.

بعد الوعود التي قطعها الحلفاء للشريف حسين، والتي تناولناها سابقًا، أعلن الشريف حسين ثورته في ٥ حزيران ١٩١٦ م ، والتي عُرفت لاحقًا باسم "الثورة العربية الكبرى". عقب الإعلان، عُيِّن ابنه فيصل قائدًا لإحدى القوى المقاتلة، حيث تولّى قيادة ما يزيد عن ستة آلاف رجل، وأُوكلت إليه مهمة مهاجمة الحامية العثمانية قرب المدينة المنورة. خاض فيصل عدة معارك هناك مدعومًا بالأسلحة والإمدادات البريطانية، وتمكّن من السيطرة على بعض المواقع بعد مواجهات استمرت لأسابيع، ثم اتجه إلى ينبع وتمركز فيها.

في أوائل عام ١٩١٧ م بدأ فيصل بالتواصل مع عدد من زعماء القبائل

العربية لحثهم على الانضمام للثورة، فاستجاب قسم منهم، خاصة في ظل التراجع العثماني وتنامي الدعم البريطاني، فازدادت رقعة الثورة.

ومع اتساع مناطق التمرد العربي، تقرّر إرسال فيصل على رأس قوة كبيرة إلى الشام، فدخل عدة مدن سورية بعد معارك متفاوتة مع القوات التركية، وتمكّن في النهاية من دخول دمشق بدعم مباشر من البريطانيين، حيث استُقبل بحفاوة من بعض السكان الذين ضاقوا بالحكم العثماني، في حين بقي آخرون مترددين في تأييد مشروع لا تزال أهدافه غامضة.

بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أُرسل فيصل لتمثيل والده في مؤتمر الصلح، الذي انعقد في باريس. ارتدى فيصل اللباس العربي في ظهوره هناك، في محاولة لإبراز الهوية العربية أمام القوى الكبرى، لكن هذه الرمزية لم تُترجم إلى نتائج سياسية حقيقية.

خلال وجوده في أوروبا، عقد فيصل اتفاقًا مثيرًا للجدل مع الزعيم الصهيوني حاييم وايزمن، عُرف بـ"اتفاق فيصل – وايزمن"، تضمّن دعمه – المشروط – لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد علّقت جريدة نيويورك تايمز على ذلك بقولها: "أمير الحجاز يرحب بالصهاينة". كما نقلت عن فيصل قوله: "نحن ننظر بأعمق التعاطف مع الحركة الصهيونية...". أثار هذا الاتفاق تساؤلات عميقة حول طبيعة التفاهمات السرية التي رافقت الثورة العربية، ومدى التزام قادتها بالقضية الفلسطينية.

عاد فيصل لاحقًا إلى باريس وطلب المشاركة في مؤتمر الصلح كممثل عن العرب، فرفض الفرنسيون بدايةً ثم سمحوا له لاحقًا. حضر افتتاح المؤتمر في ١٨ كانون الثاني، وكان ضمن وفده شخصيات عربية بارزة مثل رستم حيدر ونوري السعيد وعوني عبد الهادي، إضافة إلى الضابط البريطاني لورنس الذي ارتدى الملابس العربية هو الآخر، في مشهد

رمزي يعكس النفوذ البريطاني في الثورة.

ألقى فيصل خطابًا قصيرًا تحدث فيه عن تضحيات العرب، وقال إنهم قدموا عشرين ألف قتيل من أجل الاستقلال. نال خطابه استحسان البعض، لكنه لم يحقق أي اختراق حقيقي في موقف الحلفاء. وبعد عدة اجتماعات، تقرر إرسال لجنة إلى سوريا لدراسة الوضع هناك، دون أن يُترجم ذلك إلى اعتراف فعلي بحق العرب في تقرير مصيرهم. وهكذا، ورغم مشاركته البارزة في الأحداث، يبقى دور فيصل موضع جدل، بين من يراه مناضلًا من أجل حرية العرب، وبين من يعتبره أداة بيد البريطانيين في مشروع ساهم في تمزيق المنطقة بدل توحيدها.

* * *

﴿ فيصل في سورية... ملك بلا مملكة ﴾ (١١٢)

رغم الصورة البطولية التي حاول البعض رسمها لفيصل بن الحسين

بوصفه قائدًا منتصرًا دخل دمشق فاتحًا في أعقاب الحرب العالمية الأولى، فإن تنصيبه ملكًا على سوريا لم يكن نتيجة إرادة شعبية خالصة أو نتاج مشروع وطني ناضج، بل جاء في ظل فراغ سياسي وعسكري، واستغلال ذكي للزخم الذي خلّفته الثورة العربية الكبرى. نُصّب فيصل ملكًا على ما سُمّي بـ"المملكة العربية السورية"، لكن هذه المملكة لم تكن تملك السيادة الحقيقية، ولا الاعتراف الدولي، بل كانت تتعارض صراحة مع اتفاقيات دولية سرّية أبرزها سايكس – بيكو ووعد بلفور.

لقد كان فيصل يدرك هشاشة موقعه في سوريا، فسعى إلى التفاوض مع الفرنسيين، ووقع معهم في تشرين الثاني ١٩١٩ اتفاقية عُرفت بـ"اتفاقية فيصل-كليمنصو"، يُقر فيها عمليًا بقبول النفوذ الفرنسي في سوريا مقابل الحفاظ على منصبه. هذه الاتفاقية أثارت استياء القوميين العرب الذين رأوا فيها خيانة لمبادئ الثورة، وتنازلاً مبكرًا عن السيادة الوطنية

ومع ذلك، استمر فيصل في لعب دور "الملك"، دون أن يمتلك أدوات

السلطة الفعلية، لا جيشًا منظمًا، ولا تأييدًا شعبيًا واسعًا، ولا سندًا دوليًا حاسمًا. وعندما قررت فرنسا فرض انتدابها على سوريا بالقوة، وجد فيصل نفسه معزولًا، وأُجبر جيشه بقيادة يوسف العظمة على خوض معركة ميسلون في تموز ١٩٢٠ ، والتي انتهت بهزيمة قاسية ودخول الفرنسيين إلى دمشق، لتُطوى صفحة "المملكة العربية" سريعًا.

إن تجربة فيصل في سوريا تكشف عن تناقض جوهري بين طموحه السياسي وقدرته الواقعية على الحكم، كما أنها تفضح هشاشة المشروع القومي العربي في بداياته، وافتقاره للتنظيم والاستقلالية. فبدل أن يكون فيصل تجسيدًا لحلم الاستقلال، تحوّل إلى أداة مرنة في يد القوى الاستعمارية، يتنقّل من عاصمة إلى أخرى، ليحكم تحت مظلة الانتداب تارة في سوريا، وتارة أخرى في العراق.

السلطان عبد الحميد الثاني الذي سقط سنة ١٩٠٩



جمال باشا " السفاح "



هوامش الفصل الثالث

(٦٠) اورخان محمد علي ، السلطان عبد الحميد الثاني ، ص ٢٢٥ .

(٦١)عهود محمد ، جمعية الاتحاد والترقي وأثرها في قيام الثورة العربية الكبرى ، رسالة ماجستير ، جامعة مؤتة ، ٢٠٠٤ ، ص ٤٥ .

(٦٢) محمد حرب ، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار ، دار القلم، دمشق ، ص ٢٦٧ .

(٦٣) عمر عبد العزيز ، تاريخ المشرق العربي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص ٢٨٧ .

(٦٤) تُعدّ ثورة الأرمن واحدة من أبرز حركات التمرّد القومي في أواخر الدولة العثمانية، إذ اندلعت أولى الانتفاضات في منطقة ساسون عام ١٨٩٤ نتيجةً للظلم الجبائي والإداري الذي مارسته السلطات العثمانية

بحق الفلاحين الأرمن، وقُمعت هذه الانتفاضة بعنف مفرط، ما أسفر عن مقتل آلاف المدنيين. وقد تكرّرت الانتفاضات خلال الأعوام التالية في وان ودياربكر وارضروم، وواجهتها الدولة بسلسلة من المجازر تُعرف بـ"المجازر الحميدية" التي نُفّذت بين عامي ١٨٩٤ و١٨٩٦ وراح ضحيتها أكثر من ٢٠٠,٠٠٠ أرمني، بحسب التقديرات الغربية. ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى، اتّهمت الدولة العثمانية الأرمن بالتواطؤ مع الروس، خصوصًا بعد تمرد وان في نيسان ١٩١٥، الأمر الذي استُخدم كمبرر لبدء عمليات الإبادة الجماعية بحق الأرمن. ففي ٢٤ نيسان ١٩١٥، تمّ اعتقال المئات من قادة الأرمن في إسطنبول، وتبع ذلك حملات تهجير قسري واسعة نحو صحراء دير الزور، ترافقت مع القتل الجماعي والموت من الجوع والعطش والمرض، وقد قُدّر عدد الضحايا بين ١,٠٠٠,٠٠٠ و١,٥٠٠,٠٠٠ قتيل. كما تُعد هذه الأحداث، بحسب ما ورد في كتاب فافكين داورتيان "القضية الأرمنية في الوثائق العثمانية" (ص. ٢٣١–٢٤٥)، من أوائل الإبادات الجماعية في القرن

العشرين، وقد ساهمت في تشكيل الهوية القومية الأرمنية الحديثة رغم أنها لم تُفضِ إلى قيام دولة مستقلة آنذاك.

(٦٥) عهود محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٦ .

(٦٦) عهود محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٦ .

(٦٧) محمد حرب ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٧٩ .

(٦٨) عهود محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٦ .

(٦٩) عهود محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٧ .

(٧٠) عهود محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٧ .

(٧١) سياسي وإداري عثماني من أصل ألباني، وُلد في مدينة فلوره بالأراضي الألبانية العثمانية، وتدرّج في مناصب الدولة حتى أصبح من أبرز رجال الإدارة في إسطنبول، كما مثّل ولاية بيروت في مجلس

المبعوثان. انضم مبكرًا إلى جمعية الاتحاد والترقي وشارك في نشاطها الإصلاحي السري ضد السلطان عبد الحميد الثاني، لكنه سرعان ما اختلف مع قيادات الجمعية بسبب نزعتها المركزية ورفضها لمطالب الأقليات القومية، ولا سيما الألبان، بالحكم الذاتي الثقافي. فرّ إلى أوروبا عام ١٩٠٠ تقريبًا، واستمر في نشاطه السياسي من الخارج، وبرز لاحقًا بوصفه أحد الآباء المؤسسين لاستقلال ألبانيا، إذ أعلن استقلالها عن الدولة العثمانية في ٢٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩١٢ وأصبح أول رئيس وزراء لها.

ناظم السلانيكي: أحد الشخصيات العثمانية المرتبطة بالنشاط الإصلاحي السري في أواخر عهد السلطان عبد الحميد الثاني، ومن أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الأوائل الذين برزوا في مدينة سلانيك، المعقل الأساسي للجمعية. ساهم في تأسيس بعض الخلايا الأولى للجمعية، إلا أنه، على غرار بعض زملائه، اصطدم بالتيار المركزي المتشدد داخلها، ما دفعه

إلى مغادرة الدولة العثمانية بعد عام ١٩٠٠ م . لا تتوفر عنه تفاصيل كثيرة في المصادر، لكنه يُعد من الأمثلة على انقسام النخبة العثمانية بين تيار إصلاحي معتدل وآخر ثوري راديكالي، وهو ما ميّز السنوات الأخيرة من حكم عبد الحميد الثاني. للمزيد انظر : فؤاد باشا الخالدي، أربعة أعوام في الجمعية السرية العثمانية: جمعية الاتحاد والترقي، تحقيق وتقديم: د. خالد زيادة، بيروت: دار رياض الريّس، ١٩٩٩ .

(٧٢) عهود محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٧ .

(٧٣) في زمن السلطان عبد الحميد الثاني، الذي حكم الدولة العثمانية من سنة ١٨٧٦ إلى ١٩٠٩ ، وقعت جرائم وانتهاكات كبيرة بحق الشعوب التي كانت تعيش تحت حكمه. من أخطرها المجازر اللي ارتكبت ضد الأرمن بين عام ١٨٩٤ ١٨٩٦ والتي راح ضحيتها أكثر من ١٠٠٠٠٠ إنسان. الأرمن ما كانوا طلاب حرب، كانوا يطالبون بإصلاحات بسيطة تضمن لهم الأمان والمساواة، لكن السلطان رد عليهم بإرسال الجيش

والميليشيات التي حرقت القرى وقتلت المدنيين، في مشاهد مؤلمة جعلت العالم كله يتكلم عنها وسُمّيت بـ"المجازر الحميدية". وتوجد روايتان

بخصوص هذه المجازر الأولى وهي الوراية العثمانية وتقول ان الأرمن هم من بدأوا بالحركات الارهابية ضد المسلمين المجاورين لمناطق سكن الأرمن الواقعة في شرق الاناضول (تركيا حالياً) ورفعوا شعار الانفصال من الدولة العثمانية واعلان دولتهم الخاصة وأيضاً تقول الرواية انهم بدأوا بتشكيل جمعيات ارهابية قتلت وارتكاب مجازر بحق الاكراد . وحتى انهم حاولوا اغتيال السلطان عبد الحميد الثاني ولكنه نجا منها . اما الرواية الأرمينية فتقول ان الأرمن شعروا بالعنصرية والتمييز ضدهم من قبل السلطة العثمانية ، وكانوا يعانوا من صعوبات اقتصادية وسياسية صعبة ، فبدأوا يتظاهرون سلمياً مطالبين بحقوقهم المشروعة ، والإصلاحات التي وعدهم فيها السلطان عبد الحميد الثاني ولكن السلطان تجاهل مطالبهم ورد عليهم بالعنف عبر تكليف الخيالة الحميدية لقتلهم ،

وحتى انهم - اي الأرمن - اطلقوا على السلطان عبد الحميد الثاني بالسلطان الأحمر ويعني انه السلطان الدموي ، على أي حال طالت السياسة الحميدية حتى الشعب العادي الذي كان يحاول يتكلم أو ينتقد الوضع، كان يُعتقل أو يُنفى أو يختفي. السلطان بنى جهاز تجسس مرعب اسمه "الشرطة الحميدية"، يراقب كل شخص ، حتى داخل البيوت والمقاهي. الصحف ممنوعة، الكتب الفكرية ممنوعة، الناس تخشى تتكلم، وكل شي اصبح يخدم بقاء السلطان في الحكم، وليس مصلحة الدولة. ورغم إنه كان دائماً يقول إنه يدافع عن "الخلافة الإسلامية"، ولكن أفعاله كانت كلها قمع وتسلط، بعيدة تمامًا عن روح الإسلام وعدله. وبسبب الظلم الذي ارتكبه ، قامت ضده حركات إصلاحية مثل "الاتحاد والترقي"، واللي نجحت سنة ١٩٠٩ ، في عزله من الحكم بعد ما تعب الناس من الخوف والظلم. للمزيد انظر : جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الأسد، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة، ١٩٨١ م .

(٧٤) يُعتقد أنه توفي نتيجة إصابته بمرض السل (التدرن الرئوي)، وهو مرض معدي يؤثر عادة على الرئتين ويمكن أن يسبب تدهورًا تدريجيًا في الصحة. كان هذا المرض شائعًا في تلك الفترة بسبب ظروف الحياة في الإمبراطورية العثمانية، بما في ذلك الاكتظاظ السكاني وسوء الرعاية الصحية. ويقال إن أعراض المرض كانت تشمل السعال المستمر، وفقدان الوزن، والإرهاق، وأحيانًا السعال المصحوب بالدم

، مما جعل حالته الصحية تتدهور بسرعة. وبسبب هذه الأعراض، توفي في أواخر حياته في إسطنبول. للمزيد انظر : يوسف بيك، تاريخ الدولة العثمانية، طبع دار الجمل، ١٩٩٥ م .

(٧٥) عهود محمد ، المصدر السابق ، ص ٤٩ .

(٧٦) محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، ط ١، دار الراوي، المملكة العربية السعودية، ٢٠٠٠ ، ص ١٠١ .

(٧٧) مصطفى حلمي ، الاسرار الخفية وراء الغاء الخلافة العثمانية ، ط١ ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٧٨) عبد الله التل، الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ، ص ٧٨ .

(٧٩) مدحت باشا : هو أحد أبرز رواد الإصلاح في الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر، وُلد في إسطنبول وتقلّد عدة مناصب إدارية، منها والي بغداد . يُعد من رموز حركة "التنظيمات"، وكان من دعاة الدستور والبرلمان، إذ لعب دورًا رئيسيًا في إعلان الدستور العثماني الأول سنة ١٨٧٦ م ، لكنه أُقصي لاحقًا ونُفي، وتوفي في الطائف بعد اتهامات سياسية. للمزيد انظر: عبد الرزاق يعقوب ، مدحت باشا والإصلاح في العراق ، مجلة المؤرخ العربي، العدد ١٢ ، ١٩٨٠ ، ص. ٥٥ ، ٧٢ .

(٨٠) الصهيونية: هي حركة سياسية عنصرية منظمة تنظيما مركزيا

عالميا، تستهدف استعمار أرض العرب و إجلائهم عنها من النيل إلى الفرات، واحتلال منابع البترول والمضايق المطلة على البحر الأحمر، وبذلك تتحكم في الشريان الحيوي لمواصلات العالم وهو قناة السويس. للمزيد أنظر: محمود الدياب، الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيوني المعاصر، مطبوعات الشعب ، ص ٧

(٨١) تيودور هرتزل: صحفي يهودي نمساوي، ويعد رائد الحركة الصهيونية الحديثة، شعوره بالظلم والذل الذي طال اليهود دفعه في التفكير لإيجاد خطة ينقذ فيها اليهود ويجمعهم في مكان ما ليكون لهم دولة ترعى شؤونهم، وأفرغ فكرته في كتابه "الدولة اليهودية" الذي أصدره باللغة الألمانية واستقبل اليهود مشروعه بحماسة كبيرة. للمزيد أنظر: عبد الله التل، جذور البلاء، ص ١٤٩ .

(٨٢) نجاة رزوق ، نجاة غرايسة ، سياسة التتريك وانعكاساتها في المشرق العربي ١٩٠٨ - ١٩١٨ ، ص ٢٤ .

(٨٣) عهود محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٦.

(٨٤) محمد الخير عبد القادر، نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، ط ١ ، دار التوفيق النموذجية، مصر، ١٩٨٥ ، ص ٨٢ .

(٨٥) مصطفى الشهابي، القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها ، ط ٢ ، القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ٦٤ .

(٨٦) محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام ، ط ١ ، دار الراوي ، المملكة العربية السعودية ، ص ٩٨ .

(٨٧) قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ، ط٢ الدار العربية للعلوم ، بيروت ص ١٤٦ .

(٨٨) الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث بغداد، ١٩٧٢ م ، ج٣ ، ص ٢٠١ .

(٨٩) عهود محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥١ .

(٩٠) عبد الغني العريسي: ولد سنة ١٨٩١م في بيروت وتعلم بها واشتغل بالصحافة وأصدر جريدة المفيد، ذهب إلى باريس ودخل المدرسة الصحافية سنة ١٩١٢م من أعضاء العربية الفتاة المشترك في المؤتمر العربي الأول بباريس، اشترك في أكثر الأعمال القومية التي حدثت في أيامه ومن آثاره كتاب الدين، تم القبض عليه وإعدامه شنقاً في بيروت سنة ١٩١٦م.

(٩١) عهود محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥١ .

(٩٢) محمد الخير عبد القادر، المرجع السابق، صـ ١١٠.

(٩٣) محمد رشيد رضا، رحلتان إلى سوريا ١٩٠٨- ١٩٢٠، تقديم: زهير أحمد ، ط١، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠١، ص ٧٣.

(٩٤) عهود محمد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥٣ .

(٩٥) نعيم اليافي و خليل موسى، نضال العرب والأرمن ضد الاستعمار العثماني، ط١، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ، ١٩٩٥، ص ٣٧.

(٩٦) محمد فاروق الخالدي، المصدر السابق الذكر السابق، ص ١٣٩.

(٩٧) بسام عبد السلام، الأردن وفلسطين نظرات في التاريخ المشرق، دار الكنوز ، ٢٠٠٧ م ، ص ٤٤ ؛ قدري قلعجي، الثورة العربية الكبرى جيل الفداء يوماً بيوم مع كامل الأسماء والوثائق والأدوار، تقديم دولة الأستاذ سعد جمعة، بناية الوهاد، بيروت، ط ١ ، ، ص ٦٣ ، ٦٥ . نضال داود، علاقة مصر بالحجاز في عهد الشريف الحسين بن علي عمان: اللجنة العليا لكتابة تاريخ الأردن، ٢٠٠٧ م ص ٦٠ ؛ موسى، سليمان، الحركة العربية سيرة المرحلة المؤامرة التاريخية، سلسلة التوعية الفلسطينية، ، ط٢ ، ١٩٦٦ م ، ص ٢٣ ؛ مصطفى طلاس ، الثورة العربية الكبرى، طلاس للدراسات والنشر، دمشق، ط ٤ ، ١٩٨٧ م ، ص.٧٨ ؛ أمين سعيد ، الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، المجلد الأول، النضال بين العرب والترك، مكتبة مدبولي ، القاهرة، ٢٠٠٠ م ، ص ١٣٠ - ١٣٥ .

(٩٨) مصطفى طلاس ، الثورة العربية الكبرى، ص٧٦ ؛ موريس جيمس، الملوك الهاشميون من الشريف الحسين بن علي حتى الملك عبد الله الثاني، ص ٢٠ - ٢١ .

(٩٩) مصطفى طلاس ، المصدر السابق الذكر ، ص ٧٦ .

(١٠٠) Tibawi, A.L.: Anglo Arab Relation and the Question of Palestine 1914 – 1921, London, 1977p.p22-35

(١٠١) موريس جيمس، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٤ .

(١٠٢) سير رونالد هنري أمرست ستورز ، هو مسؤول في مكتب الشؤون الخارجية والاستعمارية البريطاني. كان سكرتير شرقي في القاهرة، الحاكم العسكري للقدس، حاكم قبرص، وحاكم رودسيا الشمالية.

(١٠٣) قلعجي ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٧٩ .

(١٠٤) أنشأت هذه الجمعية في ألآستانة ، ١٩١٣ ، وضمت إليها نخبة من ضباط العرب منهم محمد إسماعيل الطباخ، ومحي الدين ، وعلي النشاشيبي، وياسين الهاشمي، وعرف عن الجمعية بالطابع السري وكان هدفها العمل على استقلال العرب، وتؤيد ضرورة بقاء الخلافة وديعة بيد آل عثمان.انظر: أمين سعيد ، المصدر السابق الذكر ، ص ٥١ - ٥٢ .

(١٠٥) مصطفى طلاس ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٣٨ .

(١٠٦) قلعجي ، المصدر السابق الذكر، ص ٢٠١ .

(١٠٧) ايمن سعيد ، المرجع السابق الذكر، ص ١٣٣ .

(١٠٨)ايمن سعيد ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٣٢ .

(١٠٩) ايمن سعيد ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٣٧ .

(١١٠) ايمن سعيد ، المصدر السابق الذكر ، ص ١٤٣.

(١١١) سعيد رشيد زميزم ، ملوك العراق والوصي عبد الإله ، مكتبة العلامة الحلي ، كربلاء المقدسة ، ص ١٢ وما بعدها .

(١١٢) للمزيد أنظر: أكرم الحوراني، مذكرات أكرم الحوراني، ج١ ، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١ ؛ هنري لورنس، قضية فلسطين: تاريخ استعماري واستقلالي، ترجمة حسني زينة، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٩٢ م ؛ عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢ م ؛ ياسين الحافظ، اللاشرعية السياسية في المشرق العربي، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٧٠ م ؛ باتريك سيل، الصراع على سورية، ترجمة سامي الدروبي، دار الحقيقة، بيروت، ١٩٦٥ م .

الفصل الرابع

الثورة العراقية الكبرى و فيصل في العراق

في خضم الثورة العراقية الكبرى المجيدة والتي عرفت بثورة العشرين ، التي كانت تعبيرًا صارخًا عن غضب الشعب العراقي ورفضه للهيمنة الأجنبية، جاء فيصل بن الحسين إلى العراق لا بصفته مناضلًا من أبناء الثورة، بل كخيار بريطاني مفروض على العراقيين. ورغم محاولات تصويره كـ"ملك وطني" جاء لتحقيق تطلعات الشعب، إلا أن الواقع يؤكد أن تنصيبه كان جزءًا من ترتيبات استعمارية بحتة، هدفت إلى احتواء الثورة وقطع الطريق على أية حركة تحررية حقيقية.

هذا الفصل يتناول علاقة فيصل بالثورة العراقية ، لا بوصفه قائدًا لها، بل كمحصلة لتسويات خارجية جعلت من العراق ميدانًا لتجارب سياسية لم تكن نابعة من إرادة أبنائه. وبهذا، فإن الحديث عن فيصل في العراق لا يمكن فصله عن خيبة أمل الوطنيين الذين رأوا في وصوله استمرارًا لحقبة الانتداب بثوب ملكي.

﴿ ثورة العشرين واسبابها ﴾

إن احتلال العثمانيين للعراق لما يقارب أربع مئة سنة جعل البلاد تعيش في جهل وفقر وفوضى. وكان الناس يشعرون بالغضب من الحكام، لكنهم لم يعرفوا كيف يغيرون حالهم أو يسلكون طريق التقدم (١١٣).

وقد أدى حكم العثمانيين إلى تدمير الزراعة بسبب الضرائب القاسية والنهب المباشر، فلم تعد هناك فرصة لبناء اقتصاد مستقل. وكان الإقطاعيون في القرى يأخذون الضرائب من الفلاحين ويقرضونهم الأموال بفوائد كبيرة، ما جعل حياتهم صعبة وخاضعة لهم تمامًا. كما تراجعت التجارة والصناعات بسبب الأموال الكثيرة التي كانت تُؤخذ من العراق على شكل ضرائب متنوعة. أما العمال والحرفيون، فكانوا يعانون من الشقاء والمعاناة، وعاش سكان المدن في ظروف سيئة جدًا وغير صحية (١١٤).

الخدمات الصحية كانت شبه غائبة، ومحطات الوقاية الصحية في الفاو والبصرة والعتبات المقدسة وبعض الأماكن الأخرى كانت ضعيفة وغير فعّالة. والمدارس كانت قليلة جدًا، ومعظمها لم يكن أفضل من الكتاتيب، كما أن التعليم كان يُقدم باللغة التركية [١١٥] .

هذا الوضع السيئ من كل الجوانب—الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية، والثقافية، والصحية—جعل العراقيين يحلمون بوضع أفضل ونظام جديد ينهي حكم العثمانيين ويبدأ مرحلة من التقدم. لكن عندما جاء الاحتلال البريطاني للعراق سنة ١٩١٤، واستمر في سلب الحقوق وتفكيك البلاد، أدرك العراقيون أنهم أمام امتحان حقيقي لوعيهم الوطني. فجاءت ثورة العشرين تعبيرًا عن إرادتهم ورغبتهم في التغيير.

* * *

١ - العوامل غير المباشرة والمباشرة في إنطلاق ثورة العشرين [١١٦]

اندلعت ثورة العشرين في العراق نتيجة مجموعة من الأسباب المتراكمة التي يمكن تصنيفها إلى غير مباشرة ومباشرة، وكل منها ساهم بطريقة ما في إشعال شرارة الغضب الشعبي. فقد خضع العراق لاحتلال عثماني طويل دام أكثر من أربعة عقود، اتسم بالتخلّف والفساد، حيث سادت خلاله مظاهر الجهل والفقر والفوضى. تركت الدولة العثمانية العراق منهكًا بعد أن نهبت ثرواته وفرضت على سكانه ضرائب باهظة، وهو ما أدى إلى دمار واسع في الزراعة التي كانت تشكّل المورد الأساسي للاقتصاد الوطني، مما جعل البلاد غير قادرة على بناء اقتصاد مستقل.

في ظل هذا الواقع، برزت طبقة الإقطاعيين، لا سيما في مناطق الفرات الأوسط، كمصدر إضافي للضغط والمعاناة، إذ كانوا يملكون الأراضي ويتحكمون بإنتاجها ويستغلون الفلاحين بطرق مرهقة، كما منعوا تطور

الحرف والتجارة، فعاش أغلب السكان في فقر مدقع، بينما استفاد الإقطاعيون من أرباح غير عادلة على حساب المجتمع. إلى جانب ذلك، كانت الأوضاع الصحية والتعليمية في حالة يُرثى لها، فانتشرت الأمراض وتدهورت الحياة اليومية للناس في ظل غياب شبه تام للخدمات الصحية، أما التعليم فكان بدائيًا وباللغة التركية وحدها، دون وجود مؤسسات وطنية تعزز هوية العراقيين.

وجاء الاحتلال البريطاني عام ١٩١٤ ليكرّس هذه المعاناة، إذ استُبدل الاحتلال العثماني بآخر بريطاني اتبع سياسة الحكم العسكري المباشر، وتدخل في شؤون القضاء والدين والعشائر، وسعى لتقسيم العراق إلى ولايات منفصلة ضمن سياسة "فرّق تسد"، مما ساهم في زيادة النقمة الشعبية. وقد تزامن ذلك مع محاولة فرض الانتداب البريطاني على العراق من دون استشارة الشعب، كما حدث في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠ ، وهو ما اعتبره العراقيون تحديًا لإرادتهم الوطنية.

وتفاقم الوضع بعد أن بدأت السلطات البريطانية باعتقال الزعماء المحليين ووجهاء العشائر، الأمر الذي دفع عشائرهم إلى التمرد، خصوصًا وأن التدخل البريطاني شمل المساس بهوية العراقيين الدينية والاجتماعية من خلال التحكم في شؤون القضاء والدين والعرف العشائري. وما زاد من غضب الناس أيضًا هو فرض البريطانيين ضرائب جديدة من دون أي تمثيل سياسي أو إشراك للعراقيين في إدارة بلادهم، فكانت كل هذه العوامل كافية لتفجير الثورة في مختلف أنحاء البلاد.

٢ - نتائج ثورة العشرين (١١٧)

رغم أن ثورة العشرين لم تحقق هدفها الأساسي، وهو استقلال العراق الكامل عن الاحتلال البريطاني، لكنها كانت نقطة تحول مهمة في تاريخ العراق. فقد أدت إلى تغيّر موقف البريطانيين من الاستمرار بالحكم

العسكري المباشر، خاصة بعد أن كلفتهم الثورة خسائر كبيرة في الأرواح والمال، في وقت كانت فيه بريطانيا منهكة بسبب الحرب العالمية الأولى.

لذلك، قرر البريطانيون تقليل خسائرهم عن طريق إقامة ما سُمّي بـ"الحكم الوطني"، فشكّلوا حكومة محلية وجاؤوا بالأمير فيصل بن الحسين ليكون ملكاً على العراق. ولكن هذا لم يكن استقلالاً حقيقياً، لأنهم أبقوا قواعدهم العسكرية في البلاد، وفرضوا على العراق معاهدة سنة ١٩٢٢ ، التي جعلت بريطانيا تسيطر عملياً على السياسة والاقتصاد والجيش وحتى الثقافة. لكن لماذا لم تنجح الثورة في تحقيق الاستقلال الكامل؟

١- اختلاف القوة بين الثوار والمحتلين ، لقد كانت القوات البريطانية تتفوق على الثوار بشكل كبير من حيث الأسلحة والمعدات ، فبريطانيا كانت تملك طائرات ودبابات ومدرعات، بينما كان الثوار يعتمدونعلى

الأسلحة البسيطة، مثل البنادق التقليدية. بالإضافة إلى ذلك، كانت الجيوش البريطانية تتمتع بخبرة عسكرية كبيرة من خلال مشاركتها في الحرب العالمية الأولى، مما منحها أفضلية واضحة في المعركة.

٢ - قلة الخبرة العسكرية للثوار، فعلى الرغم من أن الثوار أظهروا شجاعة كبيرة وتضحيات عظيمة، إلا أنهم لم يكونوا مدرَّبين بشكل جيد على القتال العسكري. وكان نقص التدريب والخبرة العسكرية من أبرز العوامل التي أثرت على قدرة الثوار في مواجهة القوات البريطانية المتفوقة. رغم ذلك، كانت معركة الثوار مثالاً على البطولة والتضحية التي تظل تُذكر بفخر.

٣ - سياسة "فرّق تسد" من قبل المحتلين ، اذ استخدم المحتلون سياسة التفرقة بين العشائر العراقية لإضعاف الجبهة الداخلية للثوار. عمل البريطانيون على استمالة بعض رؤساء العشائر الكبرى إلى جانبهم، عن طريق إغرائهم بالإقطاعات والأراضي والمناصب الحكومية.

كما استفادوا من الخلافات الدينية والطائفية بين السكان المحليين، مما خلق تبايناً وتفرقة في صفوف الثوار، وجعل التعاون والتنسيق بينهم أكثر صعوبة.

٤ - ضعف القيادة السياسية ، حيث لم تكن هناك قيادة سياسية قوية ومنظمة تقود الثورة بشكل فعال. كما أن الطبقة السياسية العراقية كانت ضعيفة في ذلك الوقت، وخاصة البرجوازية الوطنية التي كانت تفتقر إلى القوة الاقتصادية والسياسية لتنظيم الثورة أو حتى التعامل مع الأزمات التي نشأت أثناء الصراع. هذا الضعف القيادي حال دون أن تلعب القوى الوطنية دورها في توحيد الجهود.

٥ - غياب الدعم الخارجي ، فلم يكن للثوار أي دعم خارجي يساعدهم في مواجهة الاحتلال البريطاني. في المقابل، كان البريطانيون يحصلون على دعم من كل النواحي: الدعم العسكري، اللوجستي، والسياسي. كما أن الثوار كانوا يفتقرون إلى الأسلحة والمعدات المتطورة، وكانوا

مضطرين للاعتماد على الأسلحة التي استولوها من العدو، والتي لم تكن كافية في مواجهة الجيش البريطاني المتفوق.

٦ - تشتت القيادة وضعف التنسيق بين المناطق ، لم تكن هناك قيادة واحدة موحدة للثورة، وكان التنسيق بين المناطق المختلفة ضعيفاً جداً. وهذا ساعد المحتلين في تقويض الثورة، حيث كانت الثورة تفتقر إلى خطة موحدة أو إلى قادة قادرين على تنسيق العمليات العسكرية بين مختلف المناطق. هذا التشتت أسهم في إضعاف الحراك الثوري وأدى إلى فشله في تحقيق هدف الاستقلال الكامل.

﴿ تأليف حكومة عراقية بعد الثورة ﴾

بعد أن تسنى للإمبرياليين البريطانيين إخماد الثورة ، وإحكام سيطرتهم على البلاد من جديد ، بدأت الحكومة البريطانية في ترتيب الوضع الداخلي ، متخلية عن أسلوب الهيمنة العسكرية المباشرة ، فأقدمت على

تأليف حكومة عراقية مؤقتة برئاسة السيد عبد الرحمن النقيب في ٢٥ تشرين الأول ١٩٢٠ ، كما قررت تنصيب الأمير فيصل أبن الملك حسين بن علي ملك الحجاز ، ملكاً على العراق ، في محاولة منها لخداع الرأي العام العراقي ، وإيهامه بأن بريطانيا قد تخلت عن أحلامها في الهيمنة على العراق ، والسماح بقيام حكم وطني في البلاد .

وهكذا شكل النقيب وزارته الأولى، والتي ضمت تسعة وزراء وجاءت على الشكل الآتي (١١٨) :

١ - عبد الرحمن النقيب - رئيساً للوزراء

٢ - طالب النقيب - وزيراً للداخلية

- ساسون حسقيل - وزيراً للمالية.

٤ - مصطفى الألوسي - وزيراً للأوقاف .

٥ - جعفر العسكري - وزيراً للدفاع .

٦ - عبد اللطيف المنديل - وزيراً للتجارة .

٧ - عزت باشا الكركوكلي - وزيراً للصحة .

٨- محمد علي فاضل - وزيراً للأشغال والمواصلات .

٩ - محمد مهدي بحر العلوم - وزيراً للمعارف .

أرتأ المندوب السامي البريطاني السير برسي كوكس أن يضيف إلى الوزارة عدد من الشخصيات العراقية كوزراء دولة لكي تكون هذه الشخصيات عوناً للحكومة في إدارة شؤون البلاد ، واختار المندوب السامي تلك الشخصيات من العناصر التي يثق بها ، وبقابليتها على تنفيذ السياسة البريطانية المرسومة للعراق وهكذا أصدر المندوب السامي قراره بتعيين ١٢ شخصية ليكونوا مجلساً استشارياً للحكومة وهم السادة :

١ - عبد الرحمن الحيدري.

٢ - حمدي بابان.

٣ - محمد الصيهود.

٤ - عجيل السرمد.

٥ - عبد الغني كبة.

٦ - أحمد الصانع.

٧ - عبد المجيد الشاوي.

٨ - عبد الجبار الخياط.

١٠ - سالم الخيون .

١١ - داؤد يوسفاني .

١٢ - فخري الجميلي .

* * *

﴿ مؤتمر القاهرة لبحث مستقبل العراق ﴾ [١٢٠]

بعد أن تسنى للمحتلين البريطانيين إعادة تثبيت سيطرتهم على العراق، وقمع ثورة العشرين، دعا المستر تشرشل [١١٩] وزير المستعمرات البريطاني الحكومة العراقية إلى حضور مؤتمر في القاهرة في ١٢ آذار ١٩٢١ لبحث المستقبل السياسي للعراق وقد حضر وقد عن الحكومة العراقية التي شكلها المندوب السامي، ووقد عن الحكومة البريطانية يضم المسؤولين الكبار في الإدارة البريطانية في العراق، والممثلون البريطانيون في بلدان الشرق الأوسط ، لبحث مستقبل العراق وقد حضر عن الحكومة العراقية كل من :

١ - جعفر العسكري - وزير الدفاع.

٢- ساسون حسقيل - وزير المالية.

أما الوفد البريطاني فقد ضم كل من :

١ - بيرسي كوكس - المندوب السامي البريطاني في العراق

٢ - الجنرال هالدن - القائد العام للقوات البريطانية في العراق.

٣ - مستر سليستر - مستشار وزير المالية العراقي.

٤ - المستر انكنس - مستشار وزير الأشغال والمواصلات العراقي.

٥ - المستر ايدي - مستشار وزير الدفاع العراقي.

٦ - المس بيل - السكرتيرة الشرقية لدار الانتداب البريطاني في العراق.

وقد جرى في هذا المؤتمر بحث مستقبل العراق السياسي، تحت ظل

الانتداب البريطاني وكانت أهم المسائل التي جرى بحثها :

١ - اختيار شكل نظام الحكم في العراق وقد تم خلال البحث الاتفاق على جعل العراق دولة ملكية دستورية، وترشيح الأمير فيصل بن الحسين ليكون ملكاً على العراق.

٢ - جرى بحث كيفية تخفيض النفقات البريطانية اللازمة لإدامة السيطرة البريطانية على العراق، حيث سببت ثورة العشرين خسائر مادية جسيمة لبريطانيا، بالإضافة إلى الخسائر الكبيرة في الأرواح والتي جاوزت ٢٠ آلفا من الجنود والضباط البريطانيين.

٣ - جرى بحث موضوع تشكيل جيش عراقي قوامه ١٥ ألف جندي، وإناطة الأمن الداخلي به ، وتقرر أن تساهم الحكومة العراقية بنسبة ١٥ % من ميزانية الجيش في بادئ الأمر ، على أن تزداد هذه النسبة مع نمو الجيش في المستقبل لتصل إلى ٢٥% وقد صادق المؤتمر على

جميع القرارات ، وكانت الحكومة البريطانية قد بدأت فعلا بتأليف نواة لجيش عراقي في كانون الثاني ١٩٢١ ، للقيام بمهمة حفظ الأمن الداخلي مؤلفاً من ٢٤ فوجاً ، إلا أن ذلك الجيش بقي ضعيفاً ، وتعوزه الأسلحة الحديثة ، فقد كانت بريطانيا هي التي تقرر كمية ونوعية السلاح لهذا الجيش ، لضمان بقاء سيطرتها على البلاد.

٤ - جرى بحث وضع قوات الليفي البريطانية في العراق، وتقرر زيادة عددها من ٤٠٠٠ إلى ٧٥٠٠ فرداً ، على أن تقوم الحكومة البريطانية بنفقاتها ، وجرى الاتفاق على مرابطة ٦ أسراب من الطائرات الحربية في القواعد البريطانية بالعراق، ثم تبادر الحكومة البريطانية بسحب قواتها تدريجياً من العراق ، وعلى اثر الفضاض المؤتمر تمت دعوة الأمير فيصل لتولي الملك في العراق .

ومن الجدير بالذكر أن طالب النقيب الذي عين وزيراً للداخلية كان يطمح بان يكون هو ملكاً على العراق ، وقد استشاط غضبا لعدم إشراكه في

المؤتمر، ومعارضته لتنصيب الأمير فيصل ملكا على البلاد، واخذ يصرح تصريحات تنم عن النقد الحاد للمندوب السامي والسياسة البريطانية في العراق، وحاول تجميع عدد من رؤساء العشائر والشخصيات السياسية حوله لدعم موقفه ، فما كان من المندوب السامي إلا أن أمر بإقالته واعتقاله في مساء يوم ١٦ نيسان ١٩٢١ ونفيه إلى الفاو، وتعيين المستر قلبي مستشار وزارة الداخلية، وزيراً للداخلية .

أدى أجراء المندوب السامي إلى خلق موجة من الاستياء في البلاد وإلى استقالة وزير التجارة عبد اللطيف المنديل في ٢٩ نيسان احتجاجاً على أجراء المندوب السامي البريطاني .

* * *

﴿ الاستفتاء لتنصيب فيصل ﴾

بعد قمع ثورة العشرين و خسارة البريطانيين سياسياً ، سعت سلطات

الاحتلال إلى تنصيب فيصل بن الحسين ملكًا على العراق في ظل معارضة شعبية واسعة ومواقف متباينة من القوى الوطنية. ولإضفاء الشرعية على هذا التنصيب، جرى ما سُمّي بـ"الاستفتاء الشعبي" في عام ١٩٢١ ، والذي صُوّر على أنه تعبير عن الإرادة الشعبية.

إلا أن هذا "الاستفتاء" لم يكن حقيقيًا بالمعنى الديمقراطي، بل شكليًا ومحدودًا. يقول حسين جميل إن "الاستفتاء لم يكن لكافة الشعب، بل كان مخصصًا للوجهاء والشيوخ البارزين فقط، مما يعني أنه لم يشمل كل العراقيين" [١٢١] .

فالمضابط التي جُمعت واعتُبرت تمثيلًا لرأي الناس، لم تعكس إرادة شعبية حقيقية، بل إرادة الطبقة المتحالفة مع الإنكليز. ويعزز هذا الطرح ما ذكره الكولونيل البريطاني آيرلند، أحد المسؤولين الإداريين في العراق، حيث كتب: "إن مضبطة واحدة وقع عليها عشرون من المسلمين فقط اعتبرت ممثلة لمائة وستين ألف شخص في الموصل!" [١٢٢] .

هذا الاقتباس الصريح يوضح حجم التلاعب الذي رافق إجراءات الاستفتاء، ويؤكد أن ما جرى كان فرضًا مموهًا بغطاء شرعي، لا خيارًا شعبيًا حقيقيًا.

* * *

﴿ تتويج فيصل ﴾

في ٢٣ آب/أغسطس ١٩٢١ م ، تم تتويج الملك فيصل، ملكًا على العراق، وأقيمت حفلة التتويج في ساحة برج الساحة ، ببغداد وحضرت حفلات ممثلين الألوية المشتركة في التصويت، وقبل الأمير فيصل بصحبة المندوب السامي البريطاني بيرسي كوكس ، وجلس على المقعد المخصص له، وجلس على يمينه المندوب السامي، وعلى يساره قائد القوات البريطانية في العراق، كما جلس وراءهم كل من رستم حيدر،

وأمين الكسباني، وسكرتير مجلس الوزراء حسين فتيان، ومستشار الملك فيصل، الكولونيل كورنواليس، وبعد أن جلس الحاضرون، ناول المندوب السامي بلاغا ليتلوه على جمهور الحاضرين جاء فيه:

" لقد قرر مجلس الوزراء بموافقة الآراء، بناء على اقتراح رئيس الوزراء، في جلسته المنعقدة في اليوم الرابع من شهر ذي الحجة من سنة ١٣٣٩ هجرية، والموافقة في ١١ يوليو ١٩٢١ م ميلادية المناداة بالأمير فيصل بن الحسين ملكًا على العراق، على أن تكون حكومة سموه دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون، وبصفتي مندوبا لجلالة ملك بريطانيا، رأيت أن أقف على رضا الشعب العراقي البات، قبل موافقتي على ذلك القرار، فأجري التصويت العام برغبة مني، وأسفرت نتيجة التصويت عن رغبة أكثر من ٩٧ % من مجموع الأصوات، على المناداة بسمو الأمير فيصل ملكًا على العراق. وعليه أعلن أن سمو الأمير فيصل، قد انتخب ملكًا على العراق، وأن حكومة ملك بريطانيا قد

اعترفت بجلالة الملك فيصل ملكًا على العراق، وليحيا الملك " [١٢٣] .

توثيق الفصل الرابع

(١١٣) ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط، مكتبة النهضة، بغداد، ص ٣٨٩ــ٣٩٠.

(١١٤) كوتولوف، ثورة العشرين في العراق، ترجمة حميد عبد الله، دار التقدم، موسكو، ص ٤٣ــ٥٤.

(١١٥) ستيفن همسلي لونكريك، المصدر السابق الذكر ، ص ٣٧٩ــ٣٨٠.

(١١٦) للمزيد عن أسباب الثورة : أ. د . عبد العظيم عباس عبد الحسين ، ثورة العشرين في العراق عوامل الانطلاق ومظاهر السخط الجماهيري ، جامعة الكوفة .

(١١٧) حامد الحمداني، صفحات من تاريخ العراق الحديث، ج١ ، ص ٢٧ .

(١١٨) السيد عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج١ ، ص ١٥

(١١٩) ونستون تشرشل : سياسي وخطيب بريطاني، تولّى رئاسة الوزراء خلال الحرب العالمية الثانية، وقاد بريطانيا إلى النصر على ألمانيا النازية. عُرف بخطبه القوية ومواقفه الصلبة ضد الاستسلام .

(١٢٠) حامد الحمداني ، المصدر السابق الذكر ، ص ٢٩ - ٣٠ .

(١٢١) حسين جميل ، العراق شهادة سياسية ١٩٠٨ - ١٩٣٠ ، ص ٤٧ .

(١٢٢) حسين جميل ، المصدر السابق الذكر ، ص ٤٧ .

(١٢٣) حامد الحمداني ، المصدر السابق الذكر ، ٣٢ - ٣٣ .

١٨٧

المرجع الأعلى محمد تقي الشيرازي ومفتي ثورة العشرين بعد اندلاع ثورة العشرين المجيدة .



تتويج الملك فيصل ملكاً على العراق .



تتويج فيصل الاول ملكا على العراق ٢٣ اب ١٩٢١
من اليسار . . برسي كوكس المندوب السامي البريطاني و حسين أفنان سكرتير مجلس الوزراء ثم كورنواليس مستشار للملك والملك فيصل ثم الثاني من اليمين الامير زيد ابن الحسين
و اخيرا الجنرال هالدن القائد العام للقوات البريطانية . .

الخاتمة

حين نُمعن النظر في سيرة فيصل بن الحسين، لا يمكننا أن نفصله عن الظرف الدولي الذي أوجده، ولا عن الدور البريطاني الذي رسم ملامح حكمه. لقد ظهر فيصل في العراق كملك لا يعرف البلد، ولا يعرفه أهله، فُرض على شعب لم يُستفتَ بحق، بل أُخذت باسمه مضابط وقّعها وجهاء ومشايخ تحت أنظار الإدارة البريطانية. ولعل ما قاله آيرلند – بأن مضبطة موقعة من عشرين مسلمًا مثلت ١٦٠ ألفًا من سكان الموصل – يكشف بوضوح زيف الادعاء بأن فيصل كان "خيار الشعب ".

لقد حاول فيصل أن يكون ملكًا عصريًا، وأن يؤسس لدولة، لكنه لم يتحرر يومًا من كونه أداة بيد الاحتلال. جهوده في بناء المؤسسات، ، لا يمكن إنكارها، لكنها لم تكن كافية لتجعل منه ملكًا وطنيًا بالمعنى الكامل. لقد بُني عرشه على صفقة

سياسية لا على إرادة شعب.

من هنا، فإن تقييمنا لفيصل يجب أن لا يقع في فخ التبجيل الأعمى، ولا في ظلم الإنكار، بل في ميزان النقد الموضوعي: ملك بقدرات شخصية مقبولة، في ظرف استثنائي، خدمته مصالح القوى الكبرى أكثر مما خدمه الوعي الشعبي.

* * *

- تم بحمد الله الجزء الأول من السلسلة -

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم محمد ، الدور السياسي والعسكري للملك فيصل الأول خلال الفترة ١٩٠٨ – ١٩٢٠ . عمان، الأردن، بدون دار نشر.

٢. ، الشريف محمد بن علي ، معجم أشراف الحجاز. ج٣ ، بدون دار نشر.

٣. حسين بن محمد نصيف ، ماضي الحجاز وحاضره ، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بدون مكان نشر.

٤ . حمادة وضبيان، محمد عابدين، ومحمد تيسير. فيصل من المهد إلى اللحد. المطبعة العصرية، دمشق، ١٩٣٣ .

٥ . سِيّار الجميل ، لملك فيصل الأول (١٨٨٣ – ١٩٣٣). مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٢١ .

٦ . لطفي جعفر فرج ، الملك فيصل الثاني: آخر ملوك العراق. الدار

العربية للموسوعات، بيروت، لبنان.

٧. أميرة حسين محمود. العثمانيون والعرب: دراسة في المنظور التاريخي المعاصر. بدون دار نشر.

٨. عبد العزيز الدوري، مقدمة في تاريخ العرب قبل الإسلام.

٩. محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار المعارف، ١٩٧٠م.

١٠. علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار السلام، ٢٠٠٧م.

١١. د. يوسف حسين نعيسة، تاريخ الدولة العثمانية، دار الطليعة، ١٩٩٨م.

١٢. كمال علي الطاهر، تاريخ الدولة العثمانية السياسي والحضاري، دار الكتاب العربي، ٢٠٠٠م.

١٣. محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، ١٩٩٤م.

١٤. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج٥، دار التراث، بيروت، ١٩٦٧م.

١٥. حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي في العصر العباسي الثاني، القاهرة، الطبعة الخامسة، مجلد ٥، ١٩٩٧م.

١٦. د. عبد الكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦، ط٢، دمشق، ١٩٩٣م.

١٧. د. عدنان العطّار، الدولة العثمانية من الميلاد إلى السقوط، دار وحي القلم، ٢٠٠٢م.

١٨. شكيب أرسلان، تاريخ الدولة العثمانية، تم نشره لأول مرة عام ١٩١٢م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩. أورخان محمد علي، السلطان عبد الحميد الثاني، ٢٠٠١، دار العلم للملايين.

٢٠. عهود محمد، جمعية الاتحاد والترقي وأثرها في قيام الثورة العربية الكبرى"، ٢٠١٤، دار الكتب العلمية.

٢١. محمد حرب، السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار"، ١٩٩٥، دار المدى.

٢٢. عمر عبد العزيز، تاريخ المشرق العربي، ١٩٩٨، دار النهضة العربية.

٢٣. فافكين داورتيان، القضية الأرمنية في الوثائق العثمانية ، ١٩٩٣، دار الفارابي.

٢٤. فؤاد باشا الخالدي، أربعة أعوام في الجمعية السرية العثمانية ، ٢٠٠٠، دار الجيل.

٢٥ . جورج أنطونيوس، يقظة العرب، ١٩٣٩، دار الهلال.

٢٦. يوسف بيك، تاريخ الدولة العثمانية ، ١٩٨٨، دار الكتاب العربي.

٢٧. محمد فاروق الخالدي، "المؤامرة الكبرى على بلاد الشام"، ٢٠٠٢، دار الكتب العربية.

٢٩. مصطفى حلمي، الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية ، ٢٠٠٥، دار المنار.

٣٠. عبد الله التل، الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام ، ١٩٩٤، دار الفكر.

٣١. عبد الرزاق يعقوب، مدحت باشا والإصلاح في العراق، ١٩٩٠، دار الكتب.

٣٢ . محمود الدياب، الصهيونية العالمية والرد على الفكر الصهيونة المعاصر ، ٢٠٠٣، دار الشروق.

٣٣. عبد الله التل، "جذور البلاء"، ٢٠٠١، دار النفائس.

٣٤. نجاة رزوق ونجاة غرايسة، سياسة التتريك وانعكاساتها في المشرق العربي، ٢٠٠٦، دار العلوم.

٣٥. محمد الخير عبد القادر، نكبة الأمة العربية بسقوط الخلافة العثمانية، ٢٠٠٤، دار المحروسة.

٣٦. مصطفى الشهابي، القومية العربية تاريخها وقوامها ومراميها، ٢٠٠٧، دار الفكر العربي.

٣٧. قيس جواد العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ٢٠١٠، دار المدى.

٣٨. الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، ١٩٩٦، دار الكتاب العربي.

٣٩. عبد الغني العريسي، مفكر وصحفي من بيروت، ٢٠١١، دار

المعارف.

٤٠. ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة جعفر الخياط، مكتبة النهضة، بغداد.

٤١. كوتولوف، ثورة العشرين في العراق، ترجمة حميد عبد الله، دار التقدم، موسكو .

٤٢. أ. د . عبد العظيم عباس عبد الحسين ، ثورة العشرين في العراق عوامل الانطلاق ومظاهر السخط الجماهيري ، جامعة الكوفة .

٤٣. حامد الحمداني، صفحات من تاريخ العراق الحديث، ج١ ،

٤٤. السيد عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات العراقية ، ج١

٤٥. حسين جميل ، العراق شهادة سياسية ١٩٠٨ - ١٩٣٠ .

محتويات الكتاب